من أدب الرحلات:

صور من الغرب

عبد الله حمد الحقيل

من أدب الرحلات

صور من الغرب

بقلم

عبد الله بن حمد الحقيل

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

ص. ب ٥٠٣٣٣ - الرياض ١١٥٢٣

طبع بإذن المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الاعلام
برقم ١٧٦٤ / ٢ في ٢٣/٣/١٤٠٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

" وَفي الأرض آيات للموقنين "

" وفِي أنفسكم أفلا تُبصرون "

سورة الذاريات : آية ٢٠، ٢١

•••

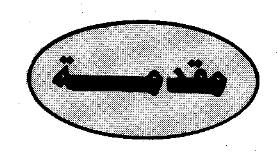
" قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض "

سورة آل عمران : آية ١٣٧

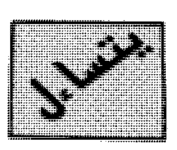
•••

" أوَلمْ يسيرُوا فِي الأرضِ فينظروا كيفَ كان عَاقبَةُ الذين كانوا مِن قبْلهم "

سورة غافر : آية ٢١



مقدمة



كثير من البـاحثين عن أدب الرحلات ودوره في تاريخ الأدب العربي، والواقع أن أدب الرحلات استـأثـر بالاهتـمام قديـمًا وحـديثـًا وعني به أعلام بارزون عبر مراحـل التاريخ ماضيًا وحاضرًا. . حيث تحدثوا فيه عن مشـاهداتهم والأماكن التي مروا بها. . وزيارة المعالم والآثار والمساجد والمكتبات وما تحويه من المخطوطات ووصفها والتعريف بها وزيارة المعالم والمواضع التاريخية. . وما زال هناك عشرات المخطوطات من المؤلفات عن الرحلات لطائفة كبيرة من العلماء لم تنشر بعد. .

لذا ينبغي ألا نهمل أدب الرحلات فهو فن متميز ومعلم بارز من معالم الثقافة والمعرفة، فهو كحديقة غناء بها ثمار يانعة ولا تخلو من الأشواك. .

فالقارىء يطل منه على أنماط شتى مختلفة وصور من صور الحياة المتباينة. .

ويـرى ويشـاهد من خلال ذلك عوالم واسعة. . يستقرىء واقعها ويتعـرف على بيئاتها وحياتها. . وإذا كانت الرحلات فيما مضى عملاً شاقًا وأسلوبًا مضنيًا فإنها اليوم بفضل التطور الحضاري والتقنية الحديثة صارت عملاً مريحًا. .

ومـا أجمـل الـرحـلات والتي تفيض بالمشاهدات الحية والملاحظات الـطريفـة والتجـارب الواسعة والمفاجآت والمعرفة عن طريق المشاهدة والمعاينة وتمحيص الحقائق مع القدرة على التعبير والدقة في التصوير. .

ومقابلة كل ظرف وحال بما يناسبه من صبر وتحمل . . ويجد فيها القارىء ما يلائمه ويوافقه . . فكم من رحالة أمدنا بمعلومات تاريخية وجغرافية تتخللها إشارات ومعلومات عن الحياة وعادات الناس وعن المدن والجزر والجبال والأودية ومختلف الظواهر وما أعظم أن نتدبر قول الله تعالى : ﴿ . . . أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم﴾ . . من سورة غافر آية ٢١.

لقد غامر كثير من الرحالة للتعرف على الظواهر الطبيعية ووصلوا إلى مناطق الجليد في شمال أوربا والأسكا وبعض المناطق في أمريكا وكندا وصعدوا الجبال العالية في الهملايا وفي الهند والصين شرق أفريقيا كهضبة الحبشة وجبل كينيا وغيرها . . فالرحلات كما يقال منجم مفيد ومنهل ثر نافع للآخرين من شتى النواحي . . والمهم أن نستفيد من الرحلات بتسجيلها والكتابة عنها . . ولقد قيل **«قيدوا العلم بالكتابة»** ورحم الله أسلافنا الذين تحملوا المشاق والصعوبات وجابوا الأمصار وسلكوا فجاج الأرض وامتطوا متن الخطر وصعوبة المسالك والطرق من أمثال ابن جبير وابن بطوطة والسيرافي والهمداني والبكري والأصمعي وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان الذي يحوي مشاهدات ميدانية، والمسعودي ورحلاته حيث أحاط بالكثير من العلوم والثقافات وطاف أكثر البلدان . . وقد فقد الكثير من مؤلفاته ولم يبق له إلا كتابان هما : «مروج الذهب ـ والتنبيه والاشراف» . . حيث تضمنت جانبًا من رحلاته التي تعد مصدرًا من مصادر المعرفة الجغرافية . . حقًا لقد استمتعت أجيال كثيرة بتلك الرحلات . .

وهكذا فإن أدب الرحلات حينما يتصدى له العلماء والمفكرون فإنه يظل مخصبًا ومفيدًا بحيث يبرز فيه الجانب التصويري بأدق وأصدق العبارات وأعذب الألفاظ وأطيبها مما يمتع القارىء ويثير فكره ويورث العبرة . . وذلك بما تشتمل عليه الرحلة من صنوف وفنون وبالقدر الذي يفيد القارىء ويجد فيها ما يلائمه ويوافقه ويزيد معارفه ويثرى ثقافته . .

وهكذا فأدب الرحلات ارتياد لمناهل الثقافة والأدب والعلم والمعرفة إذ تبدو البلاد أمامه كتابًا مفتوحًا يقرأ المرء بين ثنايا سطوره دقائق حياة الأمم وتاريخها وثقافتها ومآثرها

وتراثها ومساوئها ومحاسنها بأسلوب ممتع يزيل السأم عن القارىء ويجدد نشاطه لمواصلة القراءة مع إبراز الجانب التصويري والسياق الأدبي والتحقيق التاريخي والاجتماعي وتطعيمه بمأثور الشعر والمثل والحكم مما تقتضيه المناسبة ولقد قيل :

سفر الفتى لممالك وديار وتجول في سائر الأمصار
علم ومعرفة وفهم واسع وتجارب ورواية الأخبار

ولقد حفل الشعر العربي بالكثير من القصائد التي تحث على الأسفار والرحلات كما

عارض ذلك آخرون . . ونورد على سبيل المثال قصيدتين حول ذلك ، من ذلك قول الإمام الشافعي . . رحمه الله . .

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد
فإن قيل في الأسفار ذل وغربة وقطع فياف وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير له من حياته بدار هوان بين واش وحاسد

كما نورد قصيدة أخرى يعارض صاحبها الأسفار وما يصحبها من الأهوال والمتاعب والعنت والإرهاق للطرطوشي كقوله :

تخلف عن الأسفار إن كنت طالبًا نجاة ففي الأسفار سبع عوائق
تفكر إخوان وفقد أحبة وتشتيت أموال وخيفة سارق
وكثرة ايحاش وقلة مؤنس وأعظمها يا صاح سكنى الفنادق
فإن قيل في الأسفار كسب معيشة وعلم وآداب وصحبة فائق
فقل كان ذا دهرًا تقادم عهده وأعقبه دهر كثير العوائق
وهذا مقالي والسلام مؤبد وجرب ففي التجريب علم الحقائق

وبعد . . فهذه الرحلات التي أقدمها لك أيها القارىء العزيز هي لمحات وذكريات مختصرة بعيدة عن الإسهاب الممل . . فهي رحلات قمت بها إلى بعض البلاد الأوروبية وتشتمل في مجموعها على انطباعات وذكريات وتأملات سياحية ، وهي ما يبقى للمرء بعد ذلك .

ومهما يكن من أمر فهي صورة عامة لتلك البلدان كما تراءت لي . . وأرجو أن يجد فيها القارىء من المتعة والتسلية والفائدة ما وجدته أثناء ترحالي في تلك الديار ولقد قيل :

«في كتب الرحلات فوائد مضاعفة . . لأنك تلتقي بالناس وتتعرف على البلدان خلال ذلك».

وهذه الرحلة خاصة بأوروبا إحدى القارات الخمس والذي يزور بلدًا ما في هذه القارة يشعر أن بإمكانه أن يتنقل بسهولة تامة في بقية البلدان الأخرى كما لو كانت أوروبا هذه بلدًا واحدًا وليست قارة نظرًا لتلك التسهيلات وقرب المسافات . .

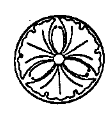
وأخيراً ارجو أن تجد أيها القارىء الكريم في هذه الرحلات فائدة وامتاعاً . وارجو الله أن يوفقنا ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل . .

والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق . .

المؤلف

«عبد الله بن حمد الحقيل»

الرياض ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م



في ديار الغرب

رأيت بلاد الغرب في كل صورة … تجلت بأنواع من الحمد والذم

لئن راقني رأى جميل منسق … فما راعني إلا مزيـد من العلم

ففي «لندن» شاهدت فيها حضارة … من العلم والتنسيق فيها على وسم

وإن تلك «باريس» عن العلم أسفرت … على مركز عال ومجد بها ضخم

تؤم من الشبان من كل دولة … منابعها في العلم لا شك كاليم

«سويسرة» دار المناظر والرؤى … «فُيـنا» بها دور المتاحف والنظم

«وأسبانيا» أرض السياحة والهناء … ولكنني فيها شقيت من الغـم

تذكرت أمجادًا وعلمًا وحكمـة … لأسلافنا أهل المكارم والعظـم

رعى الله أياماً لهـم برحابهـا … فكانوا مصابيح الحضارة والحكم

ومهما يكن حسن وأي جواذب … فإني لتطلابي العلا وهي لي همي

ولكن غريب الدار . ماعز هين … يصاول أهوال المتاعب بالعـزم

ولا فخر للإنسان إلا بصـبره … وخلق تحلى منه بالدين والحلـم

ولكن وان سلَّتك فيها مناظر … وتاهت على الدنيا بوعي على فهم

فإني إلى ربعي ومنشأ أمتي … نبت بها فكرًا وشاب بها عظمى

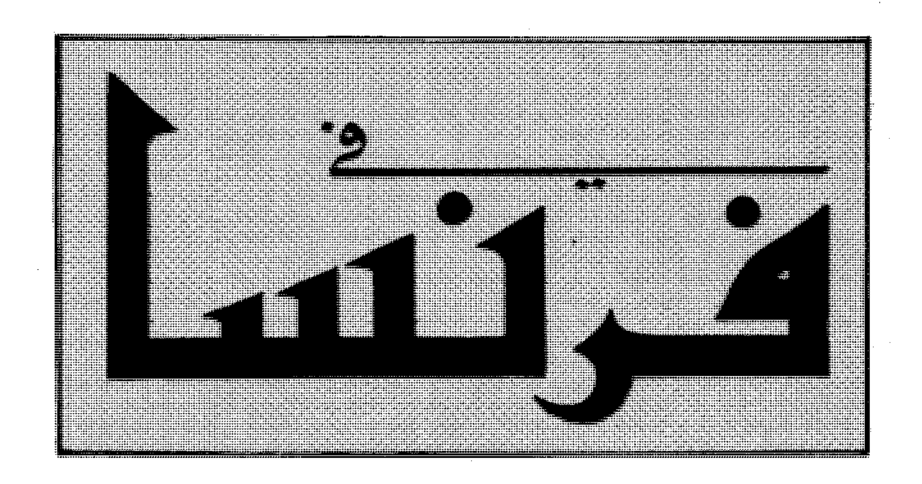
رعى الله في نجد كرامًا أحبة … على الوطن الغالي كغيث بها يهمي

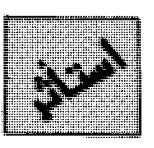
وكل بلادي في المكارم وحدة … فمن رائد بان إلى قائد شـهم

تفانوا بتكريم الغريب طبيعة … لإنسانها للحب في قلبه ينمي

رأيت بلاد الغرب فيها مساوئًا تمازج فيها الخير بالشر والإثم
لقد غرقوا فيها بلج رذائل بحرية قادت إلى السوء والهـدم
فخذ منهمو علمًا يفيدك خيره ودع باطلًا إن رامه المرء قد يعمى
فيا رب زدني عصمة وعزيمة بها انتأي عن كل عيب لنا يصمى
لنا عزة تأبى المذلة والهوى ودين ينادينا إلى الجد والحزم
نشاهد في الأسفار حاسد نعمة ونسمع ألوانًا من البغض والشتم
نقابله منا بأخلاق ديننا وبالأدب المحبوب والخلق الجم
فينصاع طوعًا بعد عنف وشدة ويثنى علينا بعد أن كان ذا ظلم
وأخلاقنا طبع وليست تطبعًا وأهل وفاء في الخلاف وفي السلم







أدب الرحلات باهتمام كبير من طبقات المثقفين قديمًا وحديثًا وعنوا به لما لقراءة الرحلات من متعة فكرية، ومنذ سنوات والنفس تحدثني بزيارة فرنسا والتعرف على معالمها والوقوف على آثارها.

إذ هي بلاد حضارة وتاريخ وفن وإعلام وآثار كلها تستحق من زائرها الوقوف والتأمل والعبرة والاستنتاج. ومن مطار الرياض أقلعت بنا الطائرة مساء اليوم الموافق ١٧/ ١٢/ ١٤٠٢هـ حيث انطلقت بنا طائرة البوينج السعودية من الرياض إلى باريس في الساعة الواحدة والنصف ليلاً بالتوقيت الزوالي، وقد أعلن المضيف وهو شاب سعودي لطيف أن الرحلة سوف تستغرق خمس ساعات ونصفاً وسنطير على ارتفاع ٣٢ ألف قدم، ثم انطلقت الطائرة في يسر وسهولة وتجاوزنا عتبة مدينة الرياض وكنا نشاهد الأنوار المتلألئة ولم نتمكن من رؤية سواها حيث نحن في سواد الليل. لقد كنت أحرص دائماً على أن يكون مقعدي بقرب النافذة حتى أرى الأرض ومعالم الطريق والسحب والبرق والمطر والهضاب والجبال ولكن هذه المرة لم أجد مكاناً مناسبًا وعندما سألت المضيفة قالت: إن هذا المكان الذي تجلس فيه خير مكان وهو في وسط الدرجة الأولى.

وكـانت مضيفـات الطائرة على درجة من الملاطفة والمجاملة للركاب، وبعد أن جلست في مكاني صافحت الجالس بجواري وإذا به السفير السعودي في الدانمارك حيث عرفني بنفسه وبعد التحية والترحيب قال لي: آمل ألا تكون متضايقا من هذا المقعد لأني رأيتك في حوار مع المضيفين والمضيفات فهذا المكان خير مكان وأحرص على حجزه باستمرار، فكانت فرصة طيبة للحديث مع الأخ الأستاذ عبد الله بن عبد الرحمن الطبيشي والسفر بطبيعته يفرض على المسافرين التعارف ويذيب الحواجز.



● شواطىء مدينة نيس ●

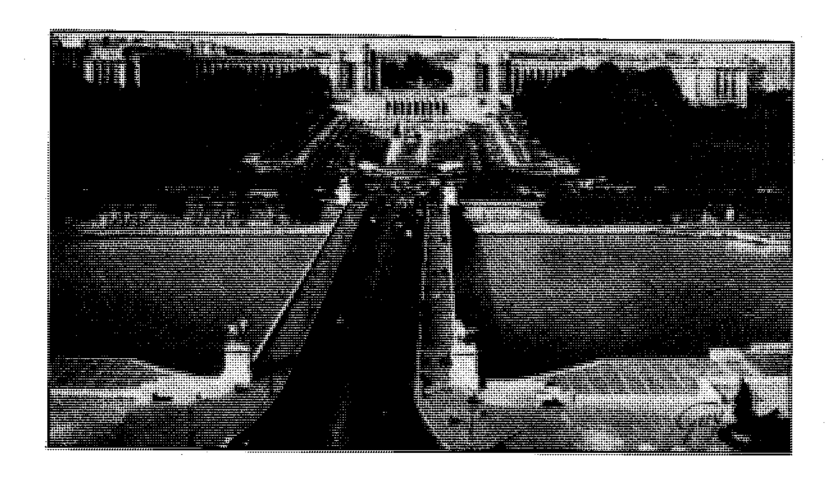
وبدأنا الحديث بالسؤال عن ذكريات والده باعتباره أحد رجال الملك عبد العزيز ومعاصريه ثم تشعب الحديث وجرى في أمور كثيرة على حد قول الشاعر كثير عزة:

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح
وشدت على دهم «البونج» رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

ولكن الرفقة لم تدم طويلاً حيث افترقنا في مطار باريس، ليواصل السفير سفره إلى مقر عمله، نزلنا في مطار باريس بعد ساعات من الطيران وتوجهت صوب مقصورة الجـوازات حيث أن موظف الجـوازات داخـل مقصورته الزجاجية وفي دقائق أنهينا الإجراءات وأخذ كل منا حقيبته دون تفتيش أو سؤال عن محتويات الحقيبة والعملة

وغيرها مما نواجهه في بعض المطارات حيث جرى ذلك في يسر وسهولة، وقد رأيت المطار في غاية الضخامة والروعة والتنظيم.

لم أحجز قبل قدومي إلى باريس في أحد الفنادق، وكان معي دليل الفنادق في باريس ومن مكتب الخطوط السعودية في المطار اتصلنا بعشرات الفنادق وكانت الإجابة لا يوجد مكان خال ثم توجهت لمكتب الاستعلامات في المطار فأخذ يتصل بعدد من الفنادق فلم يجدوا مكانًا خاليًا، وكانت الساعة الثامنة صباحًا وسألتهم: وما السبب في ذلك؟ فقالوا: إن هذا الشهر بالذات يندر أن تجد مكانًا دون حجز مسبق فشهر سبتمبر بالذات تكثر فيه الاجازات وهو شهر السياحة، وكما أن المعارض التي تقام هذه الأيام ساعدت على هذا الازدحام، وشعرت بالصدمة وبأني وقعت فيما لم أكترث به ثم قلت الصبر مفتاح الفرج. عجبًا مدينة سكانها عشرة ملايين تضيق بي اليوم ولم يخفف من شعوري بالصدمة ولا من عتبي على نفسي بعدم الحجز المسبق حيث أقبل علي شابان سعوديان كانا من ضمن الرحلة فقالا: تفضل معنا فلدينا حجز



● منظر من باريس ●

في فندق «المريديان» وما يسعنا يسعك والكثير يتعرض لمثل ما تعرضت له ولكن عندما يذهب الإنسان إلى الفندق يجد به مكاناً، فامتطينا إحدى سيارات الأجرة وقد كان المطار بعيدًا عن المدينة وقد كانت الخضرة والأشجار تضفي على الطريق جمالاً مرددًا قول القائل: نزلنا بها واستوقفتنا محاسن..

وكان سائق السيارة شاباً عربياً مغربياً وقد كان الجو باردًا والسماء مكسوة بالسحب والمطر يتساقط رذاذًا، ثم لاحت لنا مدينة باريس بجمالها وروعتها ومناظرها ورأينا نهر السين الذي يخترق المدينة واجتزنا العديد من الجسور حتى وصلنا إلى فندق «الميريديان» وقبيل الوصول إلى موظف الاستعلامات قال لنا أحد الواقفين: لا يوجد مكان خال، وكان الفندق يغص بالناس عصبة من الأمم من شتى الأجناس، فاتجهنا صوب المسؤول عن الحجز وناوله أحد الإخوان ورقة الحجز فقال: نأسف حيث لا يوجد مكان وعليكم مراجعتنا غدًا فربما يوجد مكان. . فوضعنا حقائبنا وخرجنا نبحث عن فندق آخر. وكانت المدينة نائمة فلم نجد في الشوارع سوى العاملين في تنظيف الشوارع حيث يغسلونها صباحًا، وقد كنا في حاجة شديدة إلى الراحة حيث لم ننم طوال الليل ولكن أين الفندق الذي نجد فيه سكنًا؟ فتجولنا في عشرات الفنادق من ذوات النجوم الكثيرة والصغيرة فلم نعثر على مكان فرجعنا إلى الفندق الذي تركنا فيه أمتعتنا فأشار إلينا أحد العاملين بمراجعة قسم الحجز الذي أفادنا بأن هناك بعض القاطنين في الفندق أبلغوه بسفرهم فناولنا بطاقات لتعبئتها وطلب منا الانتظار حتى يتهيأ المكان.

وبعد الاستقرار ووضع الحقيبة في الغرفة وقد كان التعب أخذ مني كل مأخذ فأخذت قسطًا من الراحة ونظرت للساعة فوجدتها قد قاربت الثانية عشرة، وهكذا أربع ساعات في البحث عن فندق. . . وبعد استراحة قصيرة ومطالعة بعض النشرات السياحية المتنوعة عن باريس اتصلت بالصديق الدكتور عبد الرحمن الشبيلي حيث كان موجودًا في باريس لتمضية العطلة الصيفية وهو بهذه المدينة خبير وعارف وكما يقول المثل «**يا زائر الهند اسأل عمن يعرفها**» وقد رد على الفور وكأننا على موعد وقد سعدت بزيارته في الفندق حيث أرشدنا إلى ما نريد زيارته وأطلعنا على الكثير من معالم باريس ومظاهر الحياة فاختار لنا رفيقًا عارفًا بها فتوجهت لزيارة بعض المعالم الحضارية فيها.

وخرجنا إلى غابة بولونيا الشهيرة قرب ميدان السباق وهي غابة تمتاز بالمناظر الخلابة، وبها مطعم فخم ـ ومقهى جميل وقضينا وقتًا ممتعًا وحدثنا عن باريس وعما ينبغي مشاهدته فشوقنا كثيرًا إلى زيارة بعض الأماكن وكما قيل:

وذو الشوق القديم وإن تسلى مشوق حين يلقى العاشقينا

فكانت سويعات جميلة عدنا بعدها إلى الفندق. . .

إن ما يجعل باريس بلدًا سياحيًا جميلاً هو روعتها وجمالها ومظاهر حضارتها العريقة وآثارها ومعالمها وميادينها ومتاجرها، فهي تمثل أحد مراكز الحضارة الغربية وابتدأت بأهم مناطقها التي هي محل اهتمام الزائر والسائح: الحي اللاتيني وجامعة السوربون، وعند الوصول إلى ذلك رغبت في القيام بجولة في هذا الحي سيرًا على الأقدام فشاهدت «حديقة لكسمبرج» وهي من أجمل الحدائق ومشيت في شوارع الحي اللاتيني وبعد جولة في شوارعه المكتظة بالناس والسائحين من مختلف الأجناس أعقبت ذلك باستراحة في إحدى مقاهي الحي المنتشرة بشكل كثير وخلال الاستراحة في المقهى تصورت الأدباء والعلماء الذين درسوا في جامعة السوربون وعاشوا في هذا الحي والروايات الأدبية التي كتبت فيه، وبعد استراحة في المقهى قلت لصاحبي: فلنذهب إلى جامعة السوربون ولا داعي للتفكير في أغوار التاريخ والإنغماس في ذكريات الأمس وحياة السابقين، ووسط صخب وضجيج الحي اللاتيني لاحت لنا جامعة السوربون وعلى مقربة من الجامعة كان الطلاب يجلسون جماعات بقرب المقهى المجاور للجامعة وآخرون يجلسون على كراسي مهيأة للاستراحة.

وعدت إلى الفندق بعد جولة في هذه المدينة العريقة الجميلة البالغة من العمر أكثر من ألفي عام والتي تتسع البهجة فيها للملايين حيث كانت عاصمة الفنون والمواهب والرسامين والنحاتين والكتاب والموسيقيين وغيرهم ممن أتوا من كل أرجاء الأرض حيث كان المناخ الفكري والثقافي.

حقاً إنها مدينة فيها كل شيء. . كل الألوان. . كل الطبقات. . كل الأجناس واللغات الأغنياء، الفقراء. . . المهاجرون من شتى الأمم، تقاليد مختلفة، مطاعم متنوعة وفي المساء خرجت مع بعض الأصدقاء للتجول في شوارع العاصمة وبعد استراحة قصيرة في أحد مقاهي شارعها الكبير «الشانزليزيه» ذهبنا إلى برج «مونبرناس TOURMONTPARNASS».

وفي المساء ذهبنا إلى برج مونبرناس حيث كان الجو صافياً كما أن منظر نهر السين الذي يخترق المدينة أضفى عليها جمالاً وبهاًء فصعدنا إلى أعلاه إذ يحتوي على تسعة

وخمسين طابقًا وفي أعلى البرج شاهدنا باريس عن كثب من خلال ناظور مخصص لذلك في أعلى البرج وقد ازدحم بأعداد كبيرة من السواح حيث تجمعوا حلقًا يشاهدون المدينة من عل، ولعل هذا البرج هو أبرز مكان لرؤية المدينة وقل أن يأتي سائح إلا ويذهب لهذا المكان، وبعد قضاء وقت ممتع واستراحة في أحد مقاهي البرج الذي يعج بالمئات والأشكال والتقاليع والغرائب والمتناقضات، حقًا ما أجمل بلادنا وأروع صحراءها ومناظرها ولقد صدق أبو العلاء المعري حين قال:

الموقدون بنجد نار بادية لا يحضرون وفقد العز في الحضر

وقول المتنبي:

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

ثم زرنا جامعة السوربون ودخلنا مبنى الجامعة التي تعتبر أشهر وأقدم جامعات أوروبا وإحدى ركائز الحضارة الأوربية. وقد كانت في الأصل كلية صغيرة بناها روجردي سوربون SARBONNE في عام ١٢٥٣م للدراسات الدينية وقد ألحق بها مكتبة كانت تضم العديد من المراجع والمخطوطات كما أنها كانت تتمتع بأساتذة مختارين. . وقد أعاد ريشيليو بناءها إذ هو مؤسسها الثاني في عام ١٦٢٤م وقد أغلقت السوربون خلال الثورة الفرنسية وفي عام ١٨٢١ أصبحت مقرًا لجامعة باريس التي أعيد تنظيمها فيما بين ١٨٨٥ و ١٩٠١ حيث أعيد بناؤها تمامًا، وقد أمضيت زهاء ساعتين متنقلاً بين أقسامها ومكتبتها، وما كان الوقت متسعًا لزيارة جميع القاعات والأقسام وقد أعيانا المشي، فاسترحت مع أحد الأصدقاء في المقهى المواجه لمدخل الجامعة لمشاهدة جو الطلاب في الجامعة وبعد قضاء برهة من الوقت توجهنا لبرج مونبرناس وركبنا سيارة أجرة وقطعنا الطريق خلال دقائق رغم الإزدحام الهائل حيث كان الجو صافيًا وكما أن منظر نهر السين الذي يخترق المدينة أضفى عليها جمالاً.

الحياة في باريس غالية لأن الدخل مرتفع وحالة الناس فيما يبدو المادية والاجتماعية ممتازة والفرنسيون يتحدثون دائمًا عن بلادهم بشيء من الفخر والإعتزاز، ويرون أنهم قد وصلوا إلى أوج الحضارة والمدنية، ونسبة التعليم مرتفعة. ولاحظت أن أكثر الفرنسيين يكرهون الملونين من السود والصفر والسمر. . ورغم ذلك فإن لديهم

أعداداً كبيرة من المهاجرين من كل أفريقيا ممن أقاموا مدة طويلة . . والشعب الفرنسي شعب ينتمي إلى الفرنجة الذين سكنوا بلاد الغال وهي أرض فرنسا القديمة في أوائل القرن السادس الهجري ولما قسمت إمبراطورية شارلمان بعد وفاته وقعت فرنسا من نصيب شارك لوبراف واستمر فترة حتى قام فيليب أغسطس عام ١٢٢٣م وكان عصره عصر حروب مع ملك انجلترا وامبراطور ألمانيا واشترك أبناؤه من بعده في الحروب الصليبية وعلى الأخص لويس التاسع حيث هزم وأسر في مصر في مدينة المنصورة . . ولعل من الطريف أن نورد للقارىء أسطورة من الأساطير الكثيرة في تاريخ فرنسا أسطورة جان دارك التي ادعت أن الأرواح أمرتها بالذهاب لتخليص فرنسا من الاحتلال الانجليزي وفعلاً حاربت مع الجنود ونجحت في تحرير بعض الأراضي الفرنسية ثم وقعت في الأسر . . ومما هو معروف أن الإنجليز احتلوا فرنسا فترة طويلة انتهت في عام ١٤٥٣م .

ولذا فقد لاحظت رواسب ذلك في نفوس الفرنسيين فهم يكرهون التحدث إليك باللغة الإنجليزية إلا عند الضرورة . . ومما يروي لي أحد الإخوان أنه تحدث مع أحد الفرنسيين وكان متعصبًا للغته لدرجة أنه أجابه قائلاً : احتفظ بسؤالك ، وكما تعرضت فرنسا للاحتلال الإنجليزي فقد تعرضت للاحتلال الألماني في الحرب العالمية الثانية ولم تتحرر من ذلك إلا في سنة ١٩٤٤م .

ولنعد إلى باريس ومعالمها حيث ذهبت إلى متحف اللوفر أحد المتاحف العريقة في العالم وهو قصر ضخم واسع وبه معروضات شتى ترجع في تاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر الميلادي وتغطي مساحات ثقافية وجغرافية شاسعة ، لقد كان هذا المتحف في بدايته قلعة ثم تحولت إلى واحد من أكبر قصور العالم ويضم متحف اللوفر بين جوانبه العديد من المكاتب الإدارية والقاعات ومتحف الفنون الزخرفية .وبه كنوز شتى وأعمال فنية مبدعة كما تتميز واجهاته بأهمية معمارية خاصة .

ثم قمت بجولة شاهدت خلالها برج ايفل وقصر رئاسة الجمهورية وشارع الشانزليزيه . والمسلة المصرية والتي نقلت من مصر رغم طولها . . وبقيت بارزة شامخة في نهاية شارع الشانزليزيه وعلى ضفاف نهر السين وكذا محكمة العدل وسجن الباستيل

الذي يقول فيه الشاعر:

وما الباستيل إلا نبت أمس — وكم أكل الحديد بها سجينا

ومررنا ونحن في السيارة بقبر نابليون ومررنا بعشرات الشوارع الرئيسية مثل سانت جرمان وسان ميشيل وكنيسة نوتردام وقوس النصر والأوبرا، ووقفت مع صحبي عند نهر السين الذي يخترق المدينة ويقف الناس على ضفافه حيث باعة الصحف والمجلات والكتب والرسامين بلوحاتهم وبعد ذلك توجهنا للاستراحة في احد مقاهي الشارع الجميل «الشانزليزيه» وهو من أجمل وأروع الشوارع في أوروبا كلها وعلى جوانبه المحلات التجارية الضخمة ومكاتب البنوك وشركات الطيران والمطاعم الفخمة والمقاهي الجميلة كل شيء موجود ولكن بأسعار مرتفعة، وفي هذا الشارع يشاهد المرء أصنافًا شتى من البشر حيث يوجد سائحون كثيرون من عرب وعجم وأشكال وألوان متباينة نشاهدهم في هذا الشارع غادين رائحين جماعات ووحدانا منهم من يمشي الهوينا ومنهم من يسير على عجل.

خلال تجولي في هذا الشارع الجميل وفي مقاهيه الأنيقة التقيت بعدد من الإخوان والأصدقاء من سعوديين وكويتيين وقطريين ممن أعرفهم سابقًا ومنهم من جرى التعارف معه ولعل الفضل في تعارفنا في هذه الديار كما يقول الشاعر:

وكل غريب للغريب نسيب

وخلال هذا اللقاء أنست بلقاء الإخوة حيث أمضينا وقتًا جميلاً تحدثنا فيه عن هذه المدينة الصاخبة ومظاهر الحياة فيها وتاريخها القديم والحديث..

وفي هذا الشارع دخلت العديد من المكتبات التي تحفل بالكتب المتنوعة ولعل جهلي باللغة الفرنسية من الأسباب التي لم تمكني من معرفة قيمة هذه الكتب وفائدتها.

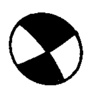
ومع مجموعة من الأصدقاء توجهنا صوب برج (إيفل) ذلك البرج الحديدي الذي أقامه جوستاف إيفل والذي بناه ليكون للمعرض الفني عام ١٨٨٩م وقد عارضه في ذلك الوقت مجموعة من الشخصيات الفرنسية بحجة أنه غير مأمون ومعرض للسقوط، وقد حكى لنا أحد الفرنسيين الواقفين بجواره قصصًا شتى عنه منها: أن الألمان حينما احتلوا فرنسا حاولوا تفكيكه وأخذ حديده وغير ذلك من الأحاديث التاريخية. وقد شاهدت الناس يتفرجون على البرج وتعرضت لأسئلة كثيرة من قبل

سائحين آخرين عن هذا البرج بلغات شتى وكنت أكتفي بهز رأسي . . وتركنا البرج للذهاب في رحلة لجبل السان ميشيل وهو يبعد عن باريس ثلاث ساعات إلا أن زيارته متعة للسائح حيث مشاهدة الريف الفرنسي حيث المدن والقرى الجميلة والمزارع الخضراء البديعة وهو يقع بين منطقتي البريثانية والنورماندي اللتين تلتقيان مع بحري المانش والأطلنطي وهاتان المنطقتان غنيتان بالجمال الطبيعي مما يشد السائح ويجذبه للتجول ورؤية هذه الأماكن والصخرة التي يجثم عليها هذا الجبل يعترضها المد والجزر. وهذا الجبل يعود لفترة طويلة من الزمن يعود إلى القرن الثامن الميلادي كما حكى لنا المرشد الفرنسي وروى لنا أساطير وحكايات متعددة حول هذا المكان مما هو قابل للصدق والكذب، ولعل منظر المدينة وأسواقها ومنازلها التي تطل من جهات متنوعة على البحر مما يلفت نظر السائح ويجعله ينعم بجو من الهدوء والانسجام والتأمل . .

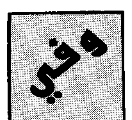
وبعد فترة من التجوال جلسنا في أحد المقاهي للاستراحة وإذا بشيخ طاعن في السن من أبناء المنطقة يقبل علينا مرحبًا فرددنا عليه التحية وجلس بجوارنا فسألنا : من أي البلاد أنتم؟ فأخبرناه فتحدث لنا عن بلاده وحضارتها القديمة وجعلها كل شيء فقلت له : كما هو معروف تاريخيًا قبل العصور الحضارية التي تشير إليها كانت بلادكم وغيرها من البلدان الأوربية تعيش عصر ركود وتخلف فكري فقد رأيتك قد ضربت صفحًا عما زخرت به بلاد الأندلس من حضارة مستفيضة كان لها الأثر الكبير في أوروبا فإن كنت ترى أن بلادك وحدها أم الحضارات فإن أرضنا الطيبة هي منبع الوحي والعرفان، فأدرك أنه مجحف في حق الآخرين فارتد قائلاً : نحن في مقام التحية والترحيب بكم فجهلي بتاريخ بلادكم ليس معناه إنكار ذلك التاريخ أو نقده أو التقليل من شأنه فقلت له : عندما ظهر عصر النهضة في أوروبا أقبل العلماء الأوروبيون على ترجمة مؤلفات المسلمين كما استعان ملوك أوروبا بعلماء من العرب المسلمين على تدعيم مدارسهم ومؤسساتهم العلمية وظل الأوربيون يعتمدون كلية وخلال ستمائة سنة على ترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأوربية بل كانت النقود المتداولة في بعض البلاد الأوربية، منقوشة باللغة العربية كما أن شارلمان ملك فرنسا حينما أرسل له هارون الرشيد الخليفة العباسي ساعة دقاقة اخترعها العرب فتعجب شارلمان وظنها رجاله سحرًا ولكن شارلمان أقنعهم بأنها من اختراع العرب وغير ذلك

من الروايات التاريخية المعروفة . .

ومن حديث إلى حديث سرعان ما امتلأت السماء بالغيوم الكثيفة وقبل أن يتساقط المطر عدنا إلى باريس استعدادًا لرحلة يوم آخر إلى قصر فرساي الشهير . .



في قصر فرساي



الصباح توجهت بصحبة بعض الإخوان إلى قصر فرساي وقد كان الجو صافيًا جميلاً وكان الطريق ممتعًا ـ فقد حبا الله هذه البلاد بجمال طبيعي أخاذ يسرُ الناظر وينشرح له القلب

مرددًا قول الشاعر:

الأرض قد كسيت رداء أخضرا والطل ينثر في رُباها جوهرا

ولأهميته التاريخية سوف أعطيك أيها القارىء لمحة تاريخية عنه . . قصر فرساي ـ يشمل القلعة والحدائق وبهو الأعمدة ـ ويصور المدى الذي وصل إليه الفن الفرنسي . فزوار المكان منذ القدم يبهرهم فن المعمار، والديكورات، وروعة الحدائق .

وقد نبعت عظمة فرساي من قوة فرنسا منذ عام ١٦٨٢م فصاعدًا حين أصبحت فرساي المقر الملكي الدائم والمركز الإداري للدولة .

وقد كان هذا القصر في البداية جناحًا متواضعًا خُصِّص لرحلات الصيد جرى تحويله أولاً إلى مقر ريفي ثم اتسع كي يصبح قلعة حقيقية تحيط بها الحدائق .

وجرى استكمال القصر بعد ذلك ببناء مدينة حتى تم اختياره في النهاية كمقر رسمي للملك وبلاطه لإدارة شؤون البلاد .

وقد قام الملوك الأربعة الذين حكموا فرنسا منذ عام ١٦١٠م إلى ١٧٨٩م بإحداث تغييرات كبيرة على القلعة وما يُحيط بها من بيوت كل بما يتفق مع ذوقه ومفهومه لمعنى القلعة.

وكما أسلفنا القول فإن بناية القصر بدأت عام ١٦٢٣م على يد لويس السادس عشر بجناح صغير لرحلات الصيد على التل المُطِل على قرية فرساي شمالاً. وكان البناء رديئاً لا يلفت انتباه الإنسان العادي أو يثير إعجابه.

لكن الموقع كان من الجمال بحيث دفع لويس الثالث عشر عام ١٦٣١م لأن يطلب من فلبرت لي روي PHILIBERT LE RAY أن يبني به قلعة من الطوب والحجارة وتكون سقوفها من ألواح الأردواز.

وحين مات الملك عام ١٦٤٣م اضطرت زوجته النمساوية الملكة آن ANNE بفعل تقلب الظروف السياسية إلى تغيير محل إقامتها باستمرار والتنقل بابنها الصبي لويس الرابع عشر ما بين باريس وسان جرمان.

ونتيجة انبهار لويس الرابع عشر بقلعة فرساي الصغيرة قرر في مُستهل عام ١٦٦١م أن يولي كل اهتمامه نحو تجديدها حتى يستقر هناك. وبالتالي جرى تكليف الفنانين ومهندسي المعمار بإنفاق كل وقت وجهد في توسعة وتجميل فرساي.

وكان رأي لويس الرابع عشر أنه لا يكفي تجميل المكان بالفنون التشكيلية المرئية بل يجب إضفاء أبهة الموسيقى والأدب عليه.

وقد حرص على إقامة ثلاثة مهرجانات وتم اختيار موضوعات المهرجانات من أعمال أدبية كبرى وأوبرات عالمية.

وفي عام ١٦٦٨م بعد ثاني المهرجانات الثلاثة وأشهرها جميعًا قرر لويس الرابع عشر توسعة فرساي وأقام البنايات الثلاث الكبرى حول القلعة الصغيرة بحيث تطل على الحدائق.

ولذا أصبحت قلعة لويس الثالث عشر مُحاطة من ثلاثة جوانب بالمباني التي صممها المهندس المعماري لي فو LE VAU.

وفي الجزء الشمالي منها أقيمت حجرات الملك، وفي الجنوبي حجرات الملكة مع شرفة فسيحة تفصل بينهما وتطل على الحدائق.

وبعد وفاة أشهر مهندسي النصف الأول من القرن السابع عشر الفنان (لي فو) تولى ابن أخيه فرنسو مانسار FRANCOIS MANSART مسؤولية البناء - وقام بتمديد مساحة الواجهة المطلة على الحدائق واستبدل الشرفة بالمجمع الذي يضم الصالون العسكري وصالون السلام وقاعة المرايا.

وفي داخل القلعة بنى المعماري MANSART السلم الملكي الخاص بالملكة في القسم الجنوبي ليقابل درج السفراء في الجناح الشمالي والذي تم هدمه فيما بعد عام ١٧٢٥م.

أما الحجرات الملكية المطلة على ساحة الرخام فتغيرت وأخذت طابعها الحالي مع غرفة النوم الملكية وسط القلعة.

وفي عام ١٦٦٩م بنى مانسارت الكنيسة الملكية التي افتتحها الملك عام ١٧١٠م بعد وفاة المهندس المعماري بسنتين، وتولى استكمال البناء صهره روبرت دي كوت ROBERT DE COTTE (١٦٦٥ - ١٧٣٥م).

وعند وفاة لويس الرابع عشر عام ١٧١٥م كان قصر فرساي قد استكمل شكله الخارجي الحالي - وقام الملوك الذين أتوا بعده بتغيير الديكور الداخلي للحجرات فقط.

وقام لويس الخامس عشر (١٧١٠ - ١٧٧٤م) بتحويل قصر فرساي إلى مقر لإقامته من جديد وأضاف المزيد من الأبنية، ورغم أن هذه الإضافات ترتب عليها إزالة بعض الحجرات التي كانت تبهر زوار قصر لويس الرابع عشر إلا أنها أدت إلى بناء حجرات الملك الرائعة والتي حرص فيها الفنانون على التفوق على أنفسهم في العمل تحت إشراف المعماري جاك آنج جبرابيل JACQUES-ANGE GABRIEL.

لقد كان هذا هو نفس المهندس الذي استكمل مشروعات بناء أوبرا فرساي الفخمة في واحد وعشرين شهرًا في الجناح الشمالي من القلعة وتم الافتتاح عام ١٧٧٠م.

واليوم يستمر قصر فرساي في القيام بدور المتحف التاريخي.

ففي الجناح الشمالي تمثل غرف القرن السابع عشر مقدمة إلى جولة بين الحجرات الرسمية يمكن الاستمرار بعدها إلى قاعة المعارك. أما الحجرات في الجناح الجنوبي فقد خصصت لعصر نابليون. ومع حجرات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تكتمل هذه البانوراما الضخمة لتاريخ فرنسا.

لقد ترك كل من ملوك فرنسا بصماته على قصر فرساي الذي أصبح يضم كنوزًا لا تُحصى بالنسبة لكل من الزائر المتلهف للمعرفة ومؤرخ الفن.

فالرائي يحس في قلعة لويس الثالث عشر بروح الفن في أواخر القرن السادس عشر والفن الكلاسيكي في القرن السابع عشر حيث تلمس التطور الرائع في الفن الفرنسي. ورغم تنوع الآثار التي خلفها سكان القصر بأذواقهم المتباينة فإن القصر يُعطي إنطباعًا متكاملًا شاملًا في الإنسجام والتوافق الفني.

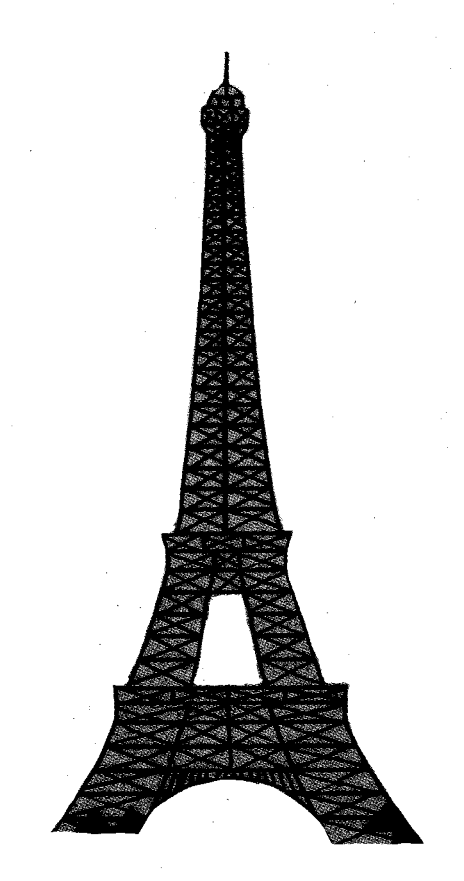
وسط هذا الجو عاش ملوك فرساي، وفي حدائق هذا القصر ترى البساط الأخضر تتناثر عليه أحواض الزهور ذات الألوان والنافورات المزخرفة وبرزت أهمية فرساي حيث أصبح مقرًا دائمًا للمعارض والمؤتمرات، وقد حكى لنا المرشد أشياء كثيرة عن هذا القصر وتاريخه وأخيرًا أنه تاريخ مضى ولن يرجع مهما حاول المسؤولون عن هذا القصر على إعادة الحياة إليه.

وبعد أن انتهينا من التجوال في القصر وحدائقه قمنا بالسير في البلدة التي تمتاز بمناظرها الساحرة ومتاجرها الأنيقة وشوارعها الفسيحة حيث تزخر بالحركة والنشاط السياحي. ثم عدنا بعد ذلك إلى العاصمة وخلال الطريق كنا نشاهد الريف الجميل وننعم بالمناظر الرائعة حيث الأزهار والأشجار والحدائق والحقول الممتدة مرددين قول الشاعر:

كست الطبيعة وجه أرضك سندسًا   وحبت نسيمك إذ تضوع طَيبًا
بسط تظللها الغصون فأينما   يممت خلت سرادقًا منصوبا

وفي صباح يوم الاثنين كنت قد قررت السفر إلى لندن واتصلت بالخطوط الفرنسية لتأكيد الحجز وأخذت منهم مواعيد السفر فكان موعد الحضور إلى المطار صباحًا الساعة الثامنة والنصف، وقد أسرعت في الصباح في الذهاب إلى المطار وفي الموعد المحدد كنت هناك وبعد إنهاء الإجراءات أخذت رقم بوابة الخروج والتفت يمينًا

وإذا برجـل مغربي يربت على كتفي قائلاً: الأخ عربي؟ فقلت: نعم وقد فرحت بوجوده حيث كان يتقن اللغة الفرنسية فتعارفنا وأخذنا مقعدنا بين الجالسين في قاعة السفر، ونظراً لسعة الوقت فقد أشرت عليه أن نتجول ونشاهد ما بقربنا من أمكنة كالسوق الحرة والمقهى والمكتبة والمصرف لاستبدال النقود الفرنسية التي بقيت معي - وكان أخونا متحدثاً بارعاً باللغة الفرنسية فتحدثت إليه مما انطبع في ذهني من ذكريات عن باريس وعن فرنسا عمومًا فزادني معرفة بأمور كثيرة بحيث تمنيت أن يطول أمر الجلوس والانتظار ولكنا افترقنا وقد كانت وجهته روما بينما أنا مسافر إلى لنـدن، وهكـذا ستبقى الأسفار رغم متاعبها فيها الذكريات والتعارف إلى جانب فوائدها الخمس المعروفة.



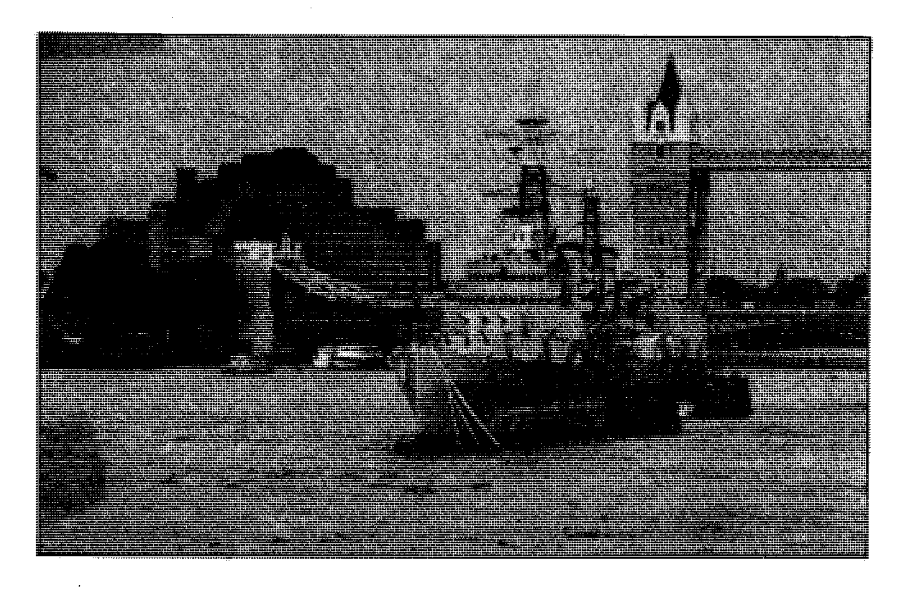
● برج إيفل في باريس ●



في يوم ١٥/٨/١٣٩٤هـ غادرت مطار شيكاغو إلى لندن وبعد رحلة استمرت أكثر من تسع ساعات من الطيران هبطت الطائرة في مطار لندن وبعد الإنتهاء من إجراءات الدخول المعتادة قصدت مدينة لندن وأويت إلى أحد الفنادق في قلب المدينة . . ولقد كان الطقس في لندن لطيفًا يغري بالنزهة رغم أنه غائم وينذر بالمطر، وبعد استراحة قصيرة خرجت من الفندق أتجول في شوارع المدينة وبين جنباتها ومتاجرها، ومدينة لندن من أكبر العواصم الأوربية وأكثرها ازدحامًا بحركة السير والسياحة ومتاجرها غاصة بالسلع المختلفة، ولعل شارع اكسفورد هو أشهر منطقة للتسوق في لندن وكذلك البيكاديلي وريجنت وباكر وغيرها من المناطق والشوارع ذات الحركة والنشاط والازدهار. ولكم كتب الرحالة والمؤرخون عن هذه المدينة فقد كانت عاصمة الدنيا وتوالت عليها صور من الأمجاد والماضي العريق وبقيت الآن حروفًا في سطور.

وفي اليوم الثاني توجهت لحديقة هايدبارك أشهر المتنزهات حيث زانها الربيع نضرة وزينة وجمالًا، وكانت مليئة بأفواج من الناس من مختلف الجنسيات . . والأوربيون بصفة عامة يستمتعون بالربيع ويبتهجون به لأن الشتاء في أوربا همّ ثقيل وبرد قارس وغيوم وأمطار وثلوج كما أن الغمام المتراكم يسد الآفاق والثلج المتراكم يملأ الطرقات

فهم في شوق دائم وحنين متواصل إلى الربيع فهو حيوية وحياة وحركة بعد انقباض وكآبة، فالربيع تجديد في حياتهم ونشاط لهم فالربيع والشمس والدفء أمور حيوية هامة في حياة أوربا وغيرها من البلدان التي هي شبيهة بمناخها بعكس بلادنا التي أنعم الله عليها بالشمس المشرقة طوال العام حتى ألفتها النفوس لأنها لا تنقطع وفي ذلك حكمة. . ولذا فلم يحفل الأدب العربي بروائع قصائد الشعر في الشمس والدفء لأنهم ألفوها.



● نهر التايمز في لندن ●

وفي هذه الحديقة شاهدت ألوانًا شتى من الأجناس واللغات وغرائب العادات وطرائف التصرفات وطبائع الشعوب المختلفة والأصوات المتعددة حيث ترتفع الأصوات في النقاش ويغلظ القول ويزداد صلابة وقوة وخشونة، ولقد تذكرت قول إمام البيان الجاحظ حينما قال في الأعراب: إنما خشنت أصواتهم لمخاطبتهم الإبل، ولكن القوم الذين شاهدتهم لا أتصور أن أحدًا منهم قد خالط الإبل بل وحتى شاهدها، ولقد شاهدت شابًا عربيًا يتحدث عن قضية فلسطين ولم يكن ينصت إليه

إلا بضعة رجال فتذكرت قول شاعرنا العربي:

قد طال نظمي للأشعار مقتدراً والقوم في غفلـة عني وعن شأني
هذي المعاني تناجيهم فما لهـم لا ينصتون بأفهام وأذهـــان

وإن لندن لمدينة كبيرة وهي ذات تاريخ قديم فهي قد أسست قبل الميلاد بـ ٤٣ عامًا عندما شيد الرومان قلعة صغيرة على ضفاف نهر التايمز، والتاريخ يسجل أحداثًا درامية ورهيبـة مرت بها هذه المدينة، وفي هذا العصر تغيرت واتسعت فهي المدينة الثانية في العالم وأكبر موانيء أوروبا إلى جانب كونها اليوم مدينة سياحية ومركزًا للمال والتجارة ورجال الأعمال نظرًا لضخامتها واتساعها وموقعها، وحديقة هايد بارك تعتبر من أجمـل المتنـزهات التي تقع في غرب لندن ولقد كانت في الماضـي حديقة تابعة للملك هنري الثامن والمعروف بسفاح النساء، ويرتاد هذا المتنزه مئات بل آلاف من الناس حيث يمضي الجميع وقتًا ممتعًا وبهيجًا حيث المناظر المتعددة والمشاهد المتنوعة والخطباء من مختلف الأشكال والأجناس وحيث الحلقات التي تجمع فيها أعداد من الناس وذلك من العلامات البارزة في هذا المكان. . وفي هذه الحديقة يلتقي المرء بأعـداد كبـيرة من السياح والمصـطافـين وإلى جانب ذلـك توجد الكتب المعروضة والصحف والمجـلات وألعاب الأطفال إلى جانب البحيرة الجميلة بزوارقها اللطيفة حيث تؤجر للراغبين. . وبعد التجوال في جنبات هذه الحديقة التقيت بمجموعات كبيرة من الإخوان العرب واقترح أحد الأخوة أن نبتعد قليلاً عن قلب لندن وضوضائها وأن نذهب في رحلة نهرية نروح بها عن نفوسنا ونشاهد خلالها الكثير من معالم لندن من على ظهر قارب آلي في نهر التايمز، فاستغرقت رحلتنا بضع ساعات تمكنا خلالها من مشاهدة بعض المناظر العامة لمدينة لندن وسهولها وهضابها ومرتفعاتها وقصورها التـاريخية وعماراتها العالية وفنادقها وساعتها الشـهيرة . . وفي يوم آخر قمت بزيارة لبعض متاحفها إذ أنها تحوي أصنافًا شتى من المتاحف العلمية والجيولوجية والزراعية والبحرية والتاريخية.

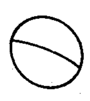
وخلال زيارتنا لمتحف لندن شاهدت ألوانًا شتى من المعروضات فهو يطلع الزائر على تاريخ لندن منذ القدم إلى عصرنا الحاضر وقد كان المبنى من القصور الملكية القديمة.

وذهبت بعد ذلك لحديقة لندن للحيوانات وهي حديقة واسعة الأرجاء وتحتوي على أصناف الحيوانات المشهورة في العالم، وقد أخبرنا المرشد إلى أنه يوجد بها أكثر من ٨٠٠٠ حيـوان من شتى أرجـاء العالم، وبعد التجوال الطويل قصدنا المطعم للاستراحة به وتناول طعام الغذاء.

ثم خرجت في رحلة إلى الريف الإنجليزي حيث الهدوء والجمال والمناظر الخلابة والنسيم العليل والمناخ الجميل والشاطىء البديع، والرياض الغناء والسفوح الخضر الجميلة. وقد قمت بزيارة مجموعة أخرى من المعالم والآثار ودور العلم والمتاحف.. وكان من أبرزها المتحف البريطاني.



● حديقة ريشموند بارك ●



في مكتبة المتحف البريطاني

المكتبات في كل أمة عنوان وعيها ودليل رقيها وتطورها. كما أنها مقياس لتقدم تلك البلاد ونهوضها إذ هي من أهم ركائز المعرفة ودعامات العلم، فهي زاد لا ينضب تتحف القارىء والباحث والطالب والمعلم ورواد العلم والآداب والفنون بروافد ثرية وينابيع متدفقة من الفوائد والمعارف والعلوم.. ولقد أتيح لي خلال وجودي في لندن زيارة مكتبة المتحف البريطاني في لندن وهي من أكبر المكتبات في العالم وأحفلها ولها من الشهرة والمكانة مما هو معروف لدى الباحثين والدارسين، وعند الباب الداخلي وجدت خارطة توضح أقسام المتحف المتعددة وعند الدخول للمكتبة يحتاج الإنسان إلى المرور بمكتب الأمين العام لتعبئة بعض النماذج والأوراق وذلك للحصول على بطاقة تعطيك حق الدخول إلى المكتبة مع تحديد الأيام التي تحتاج إليها في ارتياد المكتبة. ولقد رأيت العديد من رجال العلم والمعرفة والباحثين والدارسين قد جاءوا من مختلف البلدان وشتى الجامعات ومراكز البحوث وغيرهم من الطلاب الذين يحضرون الرسائل العلمية..

وفي هذه المكتبة تشاهد أصنافًا شتى من الناس، وبعد استكمال إجراءات الدخول وزعوا علينا مجموعة من النشرات تحمل بعض الملاحظات للقراء والزائرين عن كيفية استخدام غرفة القراءة وقاعة المكتبة والتنظيمات التي تحكم السلوك العام داخل الغرف وكيفية الحصول على الكتب وطريقة إعادتها في نهاية اليوم. وفي حالة الرغبة في الاحتفاظ بالكتاب في اليوم الثاني فلابد من كتابة الإسم على ورقة صغيرة موجودة مع الكتاب حتى تتمكن من الحصول عليه غدًا بيسر وسهولة، ومتى أراد القارىء حجز كتاب لليوم التالي فلابد من إعطاء الاسم ورقم المقعد حتى يصل إليه الكتاب.. أما

الوثائق والخرائط والمخطوطات فيوجد لها دليل خاص وللحصول على ما يريد الباحث فلابد من الاستعانة بأحد المرشدين في المكتبة. أما المراجع العلمية فهي موجودة بجوار المقصورات المعزولة صوتيًا في داخل المكتبة..

أما القراء الذين يرغبون في استخدام المايكروفيلم أو المايكروفيشات أو المياكروكارد فإن عليهم أن يتقدموا بطلباتهم إلى الموظف المختص بقاعة المكتبة ومن ثم تقديم ما يطلبه القارىء بسرعة وسهولة..

وفي هذه المكتبة تتم الخدمات الإعلامية باستخدام الكمبيوتر فيمكن للقارىء الحصول على المعلومات التي يحتاجها من معرفة بقوائم الكتب أو الحصول على مقالات وبحوث حول موضوعات معينة..

كل ذلك يتم بطريقة معينة عن طريق الحاسب الاليكتروني وفي مقابل بعض الرسوم لتلك الخدمات.

وفي قاعة المطالعة شاهدت مئات المجلدات التي تشتمل على قوائم الكتب المقيدة لدى المكتبة وهي مرتبة ترتيبًا أبجديًا تحت رؤوس موضوعات، ولقد لاحظت أن أغلبها منذ عام ١٨٨١م إلى ١٩٦٠م أما الكتب الأخرى فهي مدونة على شريط في الفترة من عام ١٩٦١م إلى ١٩٧٥م كما يوجد شريط يحتوي على جميع الكتب والمراجع التي اقتنتها المكتبة منذ عام ١٩٧١م إلى ١٩٧٥م.

وخلال زيارتي للمتحف توجهت لزيارة القسم الشرقي من مكتبة المتحف وهناك التقيت بمدير القسم العربي الدكتور ياسين الصفدي فأخبرته برغبتي بالاطلاع على قوائم الكتب العربية المطبوعة الموجودة لديهم وكذا المخطوطات العربية فيسر لي الاطلاع على بعض الكتب والمخطوطات العربية ولقد اطلعت على فهرس الكتب العربية الموجودة في المتحف.. ثم تحدثنا عن الكتب العربية والمؤلفات والمخطوطات وعن الاستشراق والمستشرقين ودورهم في نشر التراث واطلعت على بعض المخطوطات ومن ذلك كتاب لأحد المستشرقين بعنوان «يوميات من ينبع إلى القطيف» وهذا الكتاب في طريقه لأحد الناشرين في الكويت وأبى كرم الأستاذ الصفدي إلا أن نعطيه موعدًا للغداء فكان لقاء في أحد المطاعم المجاورة للمكتبة الشرقية فكانت فرصة أخرى للحديث عن المكتبة العربية والمخطوطات وعن جهود الناشرين لكتب التراث

وعن المكتبة الشرقية وما تقدمه من تسهيلات للباحث وتحدثت عن أهمية العناية بهذه المخطوطات ووضع فهارس شاملة لها وتوزيعها على المهتمين بذلك ونشر دراسات وافية عن نوادر المخطوطات. .

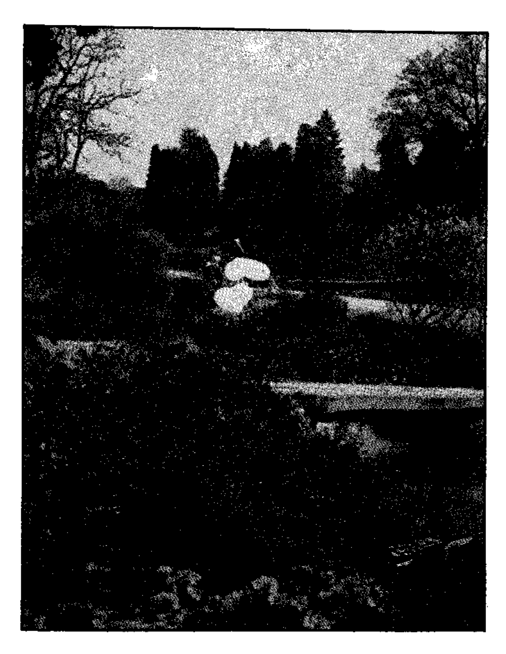
إن القسم العربي في المكتبة يحتوي على أكثر من مائتي ألف مطبوع وحوالي عشرة آلاف مخطوطة وغير ذلك من الوثائق.

ورغم الساعات الطويلة التي أمضيتها في رحاب المتحف البريطاني وقاعاته المختلفة التي تحتوي على بعض الآثار والمقتنيات الشرقية والرومانية وكذا بعض الرسوم الفنية فلم أتمكن من مشاهدة ورؤية الكثير مما يشتمل عليه المتحف. . وخرجت وأنا أحمل شتى الانطباعات وأجمل الذكريات وهي جديرة أن تذكر في سجل أوائل المكتبات. .

وبعد تمضية عدة أيام في لندن غادرتها والنفس مفعمة بشتى الانطباعات والذكريات.



● قصر باكنجهام في لندن ●



● منظر لحديقة ستورهيد في لندن ●

صدر للمؤلف

عبدالله حمد الحقيل

رحلات

و

ذكريات





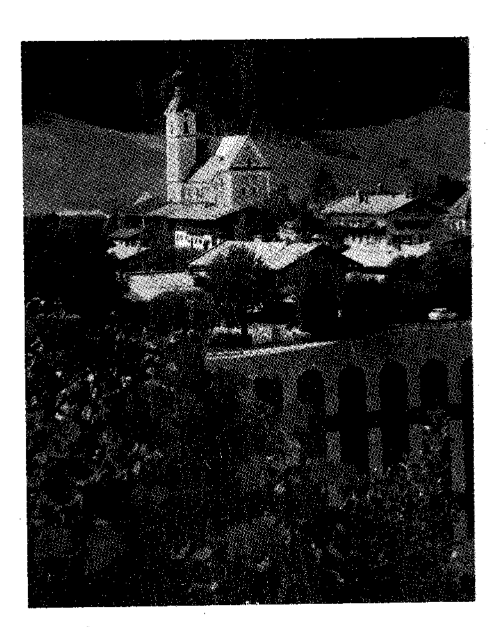
أدب

الرحلات أهمية كبيرة، إذ حفل تراثنا العربي الإسلامي بذلك وترك أسلافنا ثروة كبيرة تعتبر من أهم روافد الثقافة والأدب والتاريخ.. وإذا كانت الرحلات بالأمس ممارسة شاقة.. فإن الرحلات في هذا العصر أصبحت ممتعة بفضل الله، ثم بفضل تطور وسائل المواصلات. وفي الرحلات يتعرف المرء على حقائق تاريخية وجغرافية وعلمية وأثرية وعبر ودروس ومواقف وأشخاص وجبال وأنهار... الخ. وكل صاحب رحلة يروى مشاهداته على طريقته وأسلوبه.. والمهم أن ينتفع المرء بما رأى.. ففي الرحلات دروس وعبرة ومتعة للخيال والذهن.. وهناك أناس يروحون ويجيئون دون أن يستفيدوا أو يتثقفوا من الرحلات..

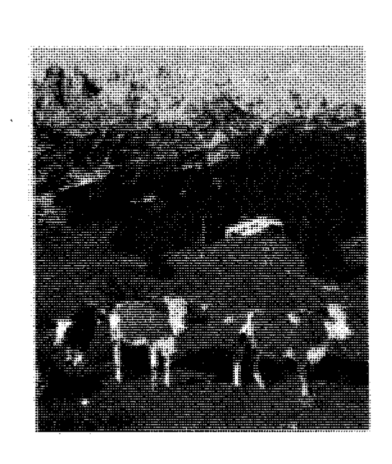
ولعل من أبرز صفات الرحالة أن يكون صبورًا قادرًا على الاحتمال والبحث وتحمل المواقف المتنوعة والمفاجئة والعيش مع أناس غرباء.

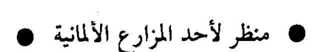
ولقد رأيت في رحلاتي أصنافًا شتى من الرحالين والسائحين.. فهناك من يعشق الشمس ويبحث عنها وهناك من يهوى تسلق الجبال والصعود إلى قممها.. وآخرون يبحثون عن الجليد والتزلج عليه ويجدون في ذلك لذة ومتعة وآخرون يبحثون عن

العلم والأدب والفن، لما لا حظته خلال رحلتي مع مجموعات سياحية من شتى الأجناس. إنهم حريصون على الرحلات والتجوال في البلدان وزيارة مختلف القارات وخاصة التي تحوي الآثار والمعالم التاريخية القديمة.. فهم يعدون العدة لذلك ويخططون للسياحة ويوفرون مصاريفها من طعامهم وشرابهم.. كما لاحظت اهتمامهم بكل صغيرة وكبيرة ووقوفهم على كل أثر ومعلم وإعجابهم بكل ما يشاهدونه ويصدقون كل ما يسمعونه من المرشدين السياحيين رغم ما قد يكون فيه من مبالغات وقصص خيالية.

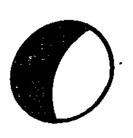


● منظر لأحد البيوت الريفية الألمانية ●





● منظر لأحد المزارع الألمانية ●



إن أدب الرحلات أدب شهي لذيذ بما يقصه من ذكريات وأخبار ومعلومات عن أحوال الأمم وما تتميز به من عادات وتقاليد. . ولقد استأثر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديمًا وحديثًا وعنى به أعلام بارزون عبر أطوار التاريخ فتركوا لنا فيه ثروة تعتبر من أهم روافد الثقافة على اختلاف مناهج الرُّحَّل من أجناس العالم.

ولنعد إلى موضوع رحلتنا:

ففي صباح يوم ١٤٠٦/١١/٢٣هـ غادرنا النمسا صباحًا وبدأت رحلتنا لألمانيا. . وعلى متن إحدى العربات السياحية وضعنا أمتعتنا وتهيأنا للسفر مرددًا قول الشاعر عمر بن أبي ربيعة:

ولما قضينا من مِنىً كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الاباطح
وشدت على «دهم المرسيدس» رحالنا ... ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

ولقد اخترنا الرحلة بالسيارة لنتمكن من الإحاطة والإطلاع بشكل أوسع.

وجمعتنا الرحلة مع مجموعات شتى من مختلف البلدان وبالطبع فلا بد من الاندماج والتعرف على هؤلاء، وذلك بالبدء بتحيتهم والتعارف معهم كما قال شاعرنا العربي:

قد يمكث الناس حينًا ليس بينهم ... ود فيزرعه التسليم واللطف

وقد أخبرنا المرشد أننا سوف نصل الحدود النمساوية الألمانية بعد سير نصف ساعة. وبعد أن وصلنا الحدود كان الوقوف بضع دقائق. . لم نهبط من سيارتنا أو يُطلب منا فتح الحقائب وهكذا في جميع البلدان الأوربية التي مررنا بها.

ثم واصلنا المسيرة في داخل الأرض الألمانية وكانت الساعة التاسعة صباحًا والسماء كلها ضباب كثيف وأمطار رغم أننا في شهر أيلول (سبتمبر).

فالأرض قد كسيت رداء أخضرا ... والطل ينثر في رباها جوهرا

ووصلنا إلى بلدة «قوقن» الألمانية حيث تناولنا طعام الإفطار في أحد مطاعمهم ودفعنا لهم الثمن بالشلن النمساوي، إذ لم نكن بعد قد استبدلنا الدولار بالمارك

الألماني. وقد أخبرونا بأن الشلن مقبول الدفع في الكثير من المدن الألمانية ثم توجهنا إلى قلعتها السياحية فوجدناها مليئة بالسواح من مختلف الأمم، ثم واصلنا الصعود في سيارات سياحية خاصة بالصعود إلى تلك المناطق التي تقوم الجبال العالية على جوانبها وكان الطريق ضيقًا ومرتفعًا بشكل لا يسمح بمرور سيارتين حتى وصلنا إلى جبل شاهق أخبرونا أنه كان مقرًا للقائد الألماني «هتلر». . ثم صعدنا بواسطة مصعد وسط الجبل لمشاهدة استراحة هتلر وموسوليني والمقر الذي كانا يلتقيان فيه وقد حُوِّل إلى منطقة سياحية تحف به المطاعم والمقاهي وأماكن لبيع التحف.

ثم عدنا مع ذلك الطريق المرعب وصادف أن التقت العربة التي نستقلها بعربة أخرى فأخذ كل منهما يدنو إلى حافة الجبل الشاهق، وقال المرشد: ان هذا الموضع يسمى مكمن الخطر فكم من سيارة تدحرجت في أرجائه، فقلنا: وما دمتم تعرفون صعوبة اجتيازه وخطورته وضيق ممراته فلماذا تذهبون بنا إليه وليس هناك ما يدعو إلى هذه الرحلة التي تشد الأعصاب؟. . ولكنكم أيها الأوربيون مفتونون بالبحث وركوب الخطر لأمور ليست ذات بال. وبعد أداء الامتحان المروري الرهيب لسائق عربتنا صفق الجميع لمهارته وقدرته على السير على حافة الجبل. . ثم توجهنا بعد ذلك إلى مدينة قوفن التي تركنا فيها سيارتنا وصعدنا فيها شاكرين الله على السلامة والعافية. وواصلنا السير صوب مدينة «انسبرك» في جوٍّ بهيج جميل حيث طاف بي الخيال في أغوار التاريخ فنحن في ألمانيا بلد الصناعات العملاقة وضجة التاريخ، وتذكرت بسمارك وهتلر وما عانته هذه البلاد من ويلات الحروب والشقاء حيث خرجت من الحرب بأسوأ نصيب وفقدت الملايين من أبنائها ودمرت حضارتها وعمرانها فقد أثخنتها الحرب العالمية الثانية بالتدمير والتخريب. . وهكذا كنت أستعرض في ذهني ذكريات شتى عن هذه البلاد ماضيًا وحاضرًا حتى صحوت من تخيلاتي وأفكاري على صوت الدليل السياحي الذي أخذ يحدثنا عن ألمانيا وتاريخها ومصانعها والهزيمة الألمانية في سنة ١٩٤٥م، حيث اصبحت أمة مجزأة مقسمة وانتصار الحلفاء وما عانته برلين من تخريب جسيم وتقسيمها وضياع دورها كعاصمة مزدهرة بالأمس. حقًا إن انتصار المعارك والدماء والدمار لم يخلد هولاكو ولا الاسكندر المقدوني ولا نيرون أو هتلر أو غيرهم لأن نهايتهم تعيسة. . وما أكثر ندم من غلطوا في حق أممهم وأوطانهم وأثاروا الفتن والدمار لبلادهم. وألمانيا اليوم مؤلفة من إحدى

عشرة مقاطعة وهذه المقاطعات متفاوتة في نشاطها وثرائها واقتصادها ومعاملها ومصانعها.

وخلال سيرنا كنا نشاهد الطرق الواسعة والغابات بأشجارها الكثيفة.. ووصلنا مدينة «انسبرك» حيث توجهنا صوب فندق «بيلفير» في وسط المدينة وبعد استراحة استغرقت ساعة.. ذهبنا في جولة لأطراف المدينة لزيارة ما أمكن رؤيته من معالمها، كمتحفها القومي وحدائقها والمدينة القديمة وأهم شوارعها.. ثم غدنا للفندق حيث أمضينا تلك الليلة بها. وفي الصباح شددنا الرحال لزيارة المزيد من المدن الألمانية والتعرف على هذه البلاد التي تبلغ مساحتها ٩٥,٧٩١ ميلاً مربعًا، أما السكان حسب آخر إحصاء (٦٢,٧٥٠٠٠٠)، وعاصمتها بون ولغتها الألمانية.. ولقد انتعشت ألمانيا اليوم اقتصاديًا انتعاشًا مرتفعًا وتبوأت مكانتها بين الدول الغربية.. فهي عضو بارز في المجموعة الاقتصادية الأوربية. ولقد لاحظنا قوة المارك الألماني في مختلف أسواق النقد في العالم فهو عملة صعبة.. والدخل لدى الفرد الألماني مرتفع كما أن حالتهم المادية والاجتماعية جيدة. ولقد لاحظت غلاء الحياة وارتفاع الأسعار بالنسبة للسلع والكماليات وأسعار الفنادق والمطاعم.

وخلال فترة تجوالنا في العديد من المدن مثل «هامبورغ وكولون وميونيخ وراين كوز ورثمبورغ وفرانكفورت ومانهايم وهايد لبرج هلون ديسبورج» وغير ذلك لاحظت ما تزدان به من طبيعة خلابة ومشاهد مثيرة.. ومعالم تاريخية.

وفي ألمانيا توجد الغابات الكثيفة الموجودة في المرتفعات وهي من أشجار الصنوبر والزان وغيره كما أنها منتشرة في جبال الألب.. وكل ما شاهدناه يوحى ببعضه ببعض من المدن والقرى والأرياف.

وفي ألمانيا أكثر من خمسين جامعة أقدمها جامعة هايدلبيرج التي أنشئت سنة ١٣٨٦م.

في كثير من المدن كنا نحرص على أن نمشي على الأقدام لمشاهدة ما وصلت إليه هذه البلاد من رقي وعمران وصناعة وحضارة والتعرف على المعالم والآثار والقلاع والحصون.. وهذه المدن تبرز في مستوى واحد من النهضة والعمران وطراز موحد في البناء وأسلوب الحياة.

ولقد حققت ألمانيا نهضة صناعية ونشاطًا اقتصاديًا. والشعب الألماني شعب قوي.. يحب العمل والإنتاج والكفاح نساء ورجالاً.

إن حركة التعمير التي أعقبت الحرب كما حدَّثنا أحد الإخوة الألمان أضفت على الكثير من المدن أحياء عصرية الطراز وخطط إسكان واسعة.. وفي هامبورغ الواقعة على نهر الألب يوجد أهم الموانىء الألمانية وفيها صناعات هامة لا تقل عن ميونيخ.. كما أن كولون الواقعة على نهر الراين التي دمرتها الحرب وأعيد بناؤها من جديد تعتبر من المدن الهامة.. أما فرانكفورت فهي العاصمة التجارية.. إذ تحتوي على المراكز الرئيسية لجميع بنوك ألمانيا الغربية وبيوتاتها المالية بالإضافة إلى العديد من الشركات والمؤسسات الصناعية.

حرصت خلال زيارتي لمدينة فرانكفورت على زيارة معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية.. ولكن إقامتنا كانت قصيرة.. وصادف المرور بها في نهاية الأسبوع.. وهذا المعهد كما قرأت عنه يعمل على نشر المخطوطات وعلى توسيع نطاق المعرفة عن إنجازات العلماء العرب والمسلمين ليبين مكانتهم الخاصة في تاريخ العلوم.. كما أن له مجلة علمية هي «مجلة تاريخ العلوم العربية الإسلامية».. وقد صدر المجلد الأول لها في عام ١٤٠٥ ـ ١٩٨٤م وهي تحتوي على ٣٣٥ صفحة من الأبحاث باللغات الأوربية مع تخصيص ٨١ صفحة باللغة العربية.

وبالطبع فألمانيا الغربية اليوم ثاني أكبر دولة منتجة في أوروبا.. كما أنها الدولة الثانية في العالم بعد أمريكا في صناعة السيارات.. كما أن الغابات الموجودة بها تمثل مصدرًا تجاريًا كبيرًا. وتزداد مساحة الغابات في المناطق الجنوبية.. كما أن نهر الراين وروافده يشكل ثروة هائلة.. لذا فكم يستمتع المرء برحلته بالسيارة رغم طول المسافات.. إذ تمر الساعات كلمح البصر.. حيث يتنقل بين الاستراحات والغابات والتلال والأودية والمروج الخضراء التي تزدان بالمياه في أغوارها.. وكذا البساتين والحقول المنسقة البديعة والتي هي متعة لعين الناظر وبهجة لنفس المتأمل وتسلية للقلب والوجدان.. وكذا القرى والبلدان المنتشرة بمبانيها الجميلة في أعالي الجبال وسفوح التلال فما أطيب الربى وأحسن المصطاف.

وفي ألمانيا الخطوط الحديدية التي تصل كل بلدة وقرية.. وتجد فيها الحركة الهائلة

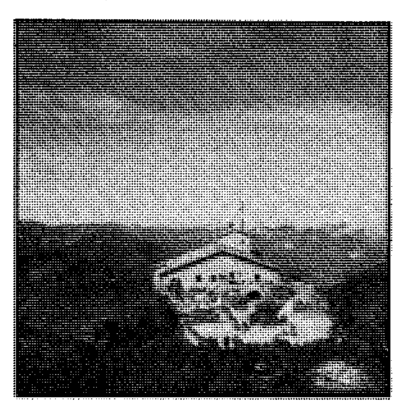
حيث تموج بالبشر المسافرين والعائدين من مختلف النواحي ومنها ما يسير في جوف الأرض وآخر فوق الأرض. . كما أن هناك شبكة ممتازة للطرق تواجه هذا التقدم في حركة المرور وكثافة السيارات. . وهكذا كل شيء يعمل ويتحرك بسرعة. . الرجال والنساء والصغار والكبار والكهول. . فالحياة عمل متواصل وجري سريع فمن لم يعمل ويكدح فلا مكان له. . كما أنهم أمة تحترم النظام وتحرص على المحافظة عليه.

ومع ما في هذه البلاد من جمال ومناظر رائعة ورقي وحضارة. . غير أن هناك سقوطاً أخلاقياً في كل ديار الغرب واختفت فيها المثل والقيم فالنتّق عدوى هذه الحضارة وما فيها من رذائل وسلبيات وتفسخ أخلاقي. . فقد ضاقوا اليوم بها وصاروا يبحثون عن النجاة لشبابهم وشاباتهم من شرورها. . فأكثر شباب الغرب اليوم كما لا حظت تائه لا يجد له ملاذاً غير المجون والمخدرات والتسكع في الشوارع والمحطات. . فلا المدرسة قادرة على توجيهه، كما أن البيت غير قادر على إصلاحه والحنو عليه نتيجة التفكك الأسري.

وبعد فما أجمل روائح الصحراء وعبيرها في بلادنا فنحن نعيش في مجتمع لا يزال متماسكًا ومليئًا بالخير ومفعمًا بالتعاطف والتعاون. . ولا يزال محافظًا على قيمه ودينه ومثله. . ولنحرص على ألا تصيبنا العدوى التي يضيق بها الإنسان الغربي اليوم فعلينا بالحرص على قيمنا الروحية وفضائل الأخلاق.

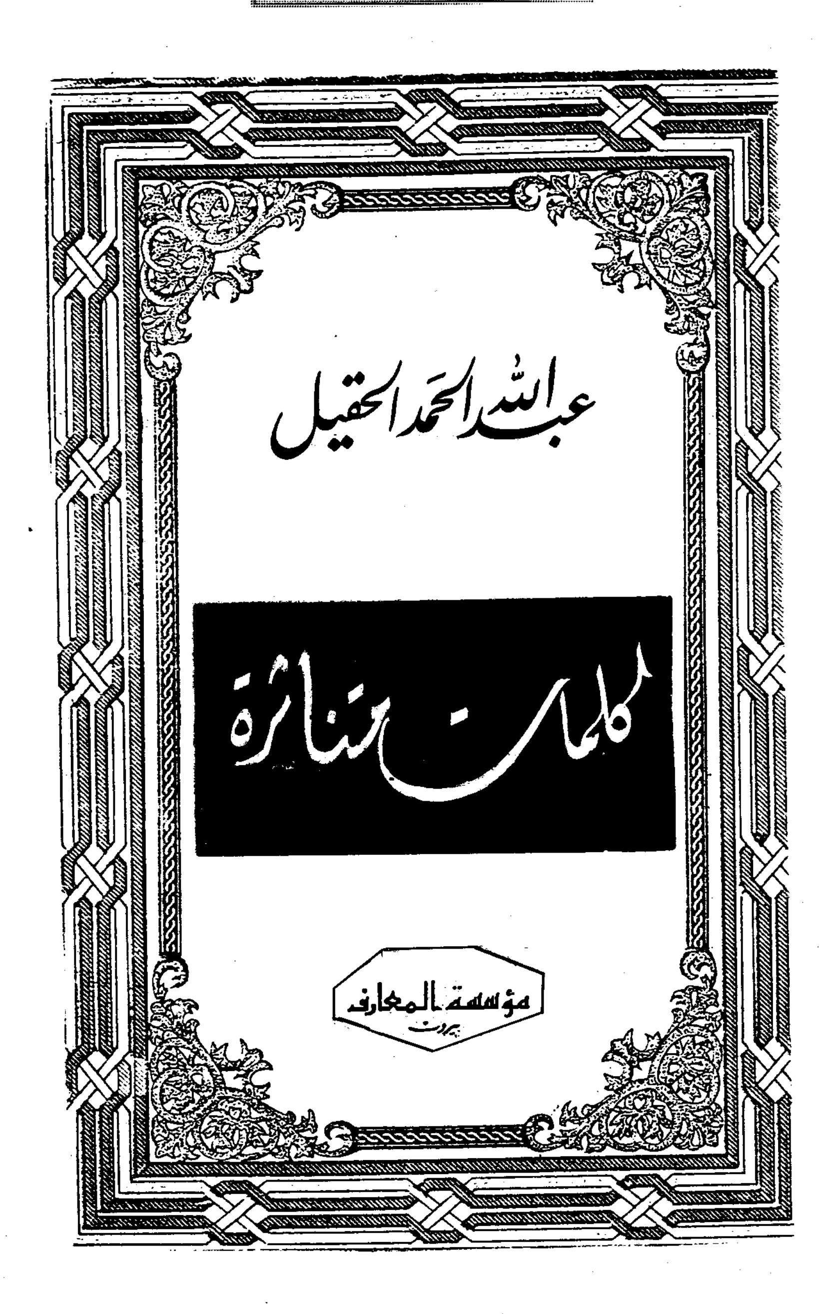


● منظر لمجموعة من المباني الجبلية ●



● مبنى بأحد المرتفعات ●

صدر للمؤلف

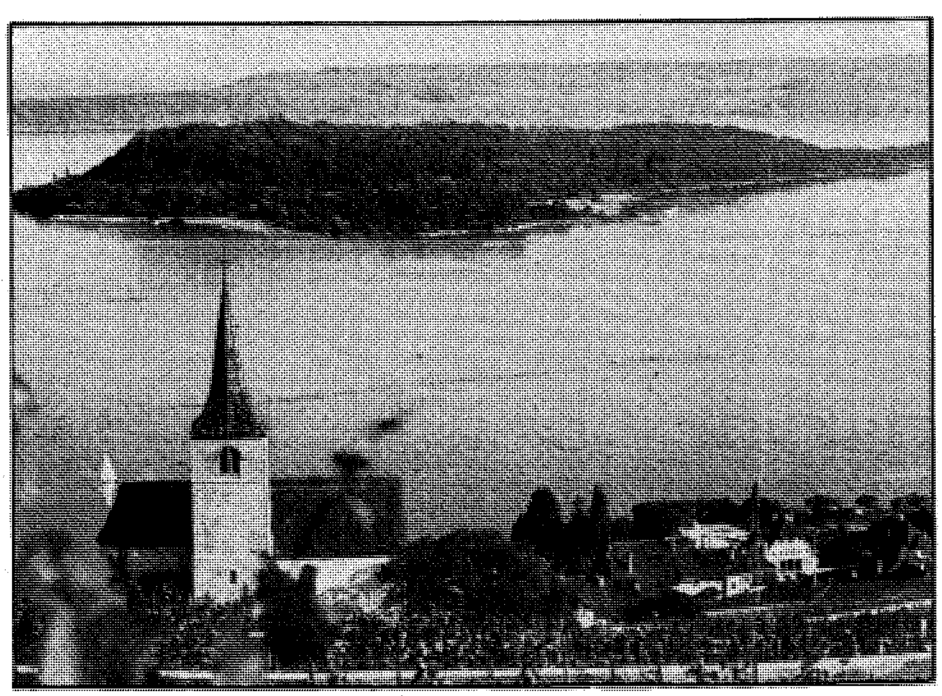




في

صبيحة يوم ٢٨/ ١١/ ١٤٠٦هـ وفي الساعة السابعة صباحًا ودعنا ألمانيا متوجهين صوب سويسرا وفي الطريق مررنا على «ليشتنشتاتين» وهي كما فهمت من الدليل السياحي إمارة صغيرة تقع على ضفة وادي الراين ومساحتها ١٦٥ كم وقمنا بزيارة لقلعتها التاريخية والتي يعود تاريخها إلى القرون الوسطى ثم زيارة للمتحف القومي بها وهي مقر العديد من الشركات الدولية.. ثم غادرناها مواصلين السير نحو الحدود السويسرية.. وقد مررنا بالعديد من المزارع والغابات ومشاهدة سهل الراين ثم لاحت لنا الحدود وتوقفنا بضع دقائق واصلنا السير بعدها في الأراضي السويسرية وبدأ الهواء البارد يلفح وجوهنا وكان الجو ممطرًا وبديعًا. كما أن سويسرا تشتهر بمشاهدها الجبلية الرائعة وهي تتألف من اتحاد مكون من ٢٢ مقاطعة ومساحتها ٤٢٠٠٠ كم مربعًا وعدد سكانها ستة ملايين ونصف المليون.. ولها حدود مع ألمانيا وفرنسا وإيطاليا.. ولذا فإن لهذه البلاد ثلاث لغات رسمية.. الألمانية ويتكلمها قرابة ثلاثة أرباع السكان.. والفرنسية ويتكلمها أهل جنيف والمقاطعات المتركزة حولها.. أما الإيطالية فيتكلمها قسم منهم يقدر على حد تعبير الدليل السياحي ١٠٪ من السكان في الجنوب. وهناك توجد لغة رابعة هي اللغة الرومانسية وتتكلمها أقلية صغيرة.. فسبحان من علّم اللغات وعلّم

الإنسان مالم يعلم . . فهذا البلد يتكلم أهله أربع لغات إلى جانب اللغة الانجليزية فالكل يتحدث بها في الفنادق والمطاعم والبيع والشراء بالنسبة للسائحين .



● منظر عام لاحدى القرى السويسرية ●

إن سويسرا منتجع سياحي جميل ولذا فهي مليئة بالسواح ، والفنادق محجوزة طوال فصل الصيف ولذا حرصنا أن يكون سفرنا لها بواسطة شركة سياحية تتولى بدورها توفير المواصلات والفنادق والرحلات وما إلى ذلك تجنبًا للمتاعب وتوفيرًا للوقت والجهد الذي يلقاه المسافر اليوم من صعوبة الحجز في الفنادق وغيرها . . ومنذ دخولنا سويسرا ونحن ننعم بمناظر خلابة وجو جميل على حد قول الشاعر:

والروض مخضل الجوانب مشرق ... وشذى الزهور يشيع في الأرجاء

وقول الشاعـــر:

بلاد بها ما يمـلأ العين بهجـة ... ويسـلي عن الأوطان كل غريب

وقول الآخر:

ووشـــى للريـاض ثوبـا وحلَّى ... كل جيـد من الـربـا بعقـــود

لقد أحاطنا المرشد علمًا أن سويسرا تتألف من منطقة تلال خصيبة واقعة بين جبال الألب التي تغطى أكثر من نصف مساحة البلاد وبين جبال الجورا في الشمال الغربي. . وهو بلد قاري محاط بثلاث دول كبرى هي فرنسا من الغرب وألمانيا من الشمال وإيطاليا من الجنوب وليس لها أي منفذ على البحر وبها الأنهار والمياه الغزيرة إذ يجري بها نهر الراين ونهر الرون ونهر تيسان ونهر أين كما أنها جبلية إذ ثلاثة أرباع أراضيها مؤلفة من الجبال. وبعد مسيرة ثلاث ساعات من الحدود وصلنا إلى مدينة «لوسيرن» وتوجهنا صوب فندق «بيلفيدير» في وسط المدينة ويطل على بحيراتها الجميلة. .

وبعد استراحة بالفندق وتناول طعام الغداء خرجنا بعد العصر لنتجول في المدينة فوجدناها روعة في الجمال وفي طراز البناء والنظافة وزرنا المدينة القديمة والمناطق والمعالم الجديرة بالاطلاع والمشاهدة وفي اليوم الثاني خرجنا للبحيرات وقمم الجبال المغطاة بالضباب وهي مناطق سياحية بهيجة فاتنة وأودية خضراء تمثل الجمال الساحر. . وصعدنا بالقطار ثم بالسيارة اللاسلكية فوق الضباب وحينما هبطنا في تلك الجبال لم يستطع بعضنا أن يرى بعضاً من شدة الضباب والسحب الكثيفة وكان الجو باردًا ثم هبطنا بواسطة «تلفريك» من علو مرتفع حيث كنا نشاهد نهر الراين والقرى وكأنها شيء صغير. . ووصلنا إلى الأرض بسلامة الله وكانت رحلة ممتعة حيث أمضينا يومًا كاملاً وسط مناظر رائعة ثم عدنا في المساء بقلب منشرح على ما رأيناه. وقصدنا الفندق واسترحنا وحضرنا في المساء حفل العشاء الذي نظمته الشركة السياحية في أحد مطاعم المدينة الفخمة ولقينا هناك مجموعات شتى من البشر من كل القارات والأجناس وكانت فرصة طيبة مع هؤلاء كما قال الشاعر:

إذا وجد الإنسان للخير فرصة   فلم يغتنمها فهو لا شك عاجز

فكانت فرصة للتعريف ببلادي والحديث عن الإسلام وفضائله ومزاياه والحكمة في تحريم لحم الخنزير والخمور. . ومن العجيب أنهم حريصون ومتلهفون على أن يتعرفوا على الإسلام بانفتاح وبحب. إن الحوار مع غير المسلمين من الأمور الهامة حتى يتمكن المسلم من إيصال حقيقة العقيدة إلى غيره وتوضيح حقيقة الإسلام. . **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين**. . ثم عدنا

للفندق الذي كنا نازلين فيه للنوم والاستعداد للسفر.

وفي صباح اليوم الثالث وفي الساعة الثامنة صباحًا غادرنا لوسيرن بعد أن ألقينا عليها نظرة حب وود من بعيد وتوجهنا بعد ذلك إلى جنيف ولوزان وهما مركزان تجاريان هامان ومن مراكز الاصطياف والتجارة. . كما أن منظر البحيرة يضفى عليهما جمالاً وروعة. . وفي جنيف أمضينا يومًا وليلة وأقمنا في فندق «هيلتون» وهي مدينة جميلة. . تذكرنا بقول الشاعر:

متع فؤادك بالجلوس هنيهة بين الحياة وروضة خضراء

وفي الصباح خرجنا لنشاهد بعض معالم مدينة جنيف. . وبعد جولة في شوارعها ومشاهدة بحيرتها وحدائقها نزل المطر رذاذاً فحاولنا تحمله. . ولكن سرعان ما هطل بغزارة فكان لابد من العودة إلى الفندق.

وفي صباح الغد ودعنا تلك المدينة وما تحفل به من مناظر جميلة وركبنا سيارتنا متوجهين نحو شلالات نهر الراين وكانت تطوى بنا الأرض والذهن يطوى بي التاريخ والذكريات وكان الجو لطيفًا باردًا إلى حد ما وكنا نشاهد قمم الجبال وهي مكسوة بالثلج تتلألأ تحت الشمس. .

كما أن السفوح عابقة بالزهر والعطر والرياحين. . وجعلت أستعرض في ذهني ما قيل من الشعر في وصف مثل هذه المناظر ففيها يحلو الشعر وما يصفه من حسن وحب وجمال. . فإن تراثنا الشعري حافل بهذا اللون.

وكم تعطرت بالريحان وامتزجت رياك بالروض أفنانا وأزهارا
ما أن نشقتك حتى خلت منتعشا ماء الحياة جرى في الجسم أنهارا

ولكم يخفق القلب للربيع الجذاب والهواء العليل. وسرَّحت النظر أجيل الطرف في أرجاء تلك الرياض الفيحاء وقد تبرجت وتجلت فتنة للناظرين مما يذكرني بقول الشاعر:

فلست تبصر إلا واكفا خضلا أو يانعا خضرا أو طائرا غردا

ومررنا في الطريق بمدينة زيورخ وأمضينا في رحابها عدة ساعات. . حيث شاهدنا معالمها واسواقها وميادينها فهي المركز التجاري الهام وبها البنوك والمصانع. . ولا شك

أن الحياد الذي عرفت به سويسرا أتاح لها أن تكون مركزًا تجاريًا هامًا ومقرًا للمؤتمرات الدولية وتجارة سياحية هامة فحققت بذلك مستوى عاليًا من المعيشة رغم قلة الموارد الطبيعية فيها. . كما أنها متخصصة في صناعات الساعات بمختلف أشكالها والمجوهرات والمنسوجات وغيرها.

ووصلنا شلالات نهر الراين وتوقفنا لمدة ساعتين. . وكانت مليئة بالسواح يموج بهم المكان وكان منظر الشلالات رائعًا وبديعًا ومياهه العذبة البراقة صافية ورقيقة توحي بالبهجة في الأفئدة والأنس في النفوس وعلى ضفافه المطاعم والمقاهي وباعة التحف ومؤجري «القوارب» فأخذنا مركبًا نتجول به في وسط هذه الشلالات الهادرة الراقصة. . وأخذت أجيل بصري في جنان وبساتين المناطق المجاورة لها وراق النسيم وراق الجو فتذكرت قول القائل:

يا نسيما هب مسكا عبقا هذه أنفاس ريا جلقا

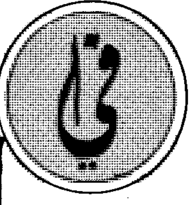
وسعدنا بقضاء وقت رغد ممتع. . وهكذا ودعنا تلك البلاد بعد أن نعمنا بجمال مناظرها الطبيعية وعذوبة هوائها البارد وكحلنا ناظرينا بتلك الأنهار والبحيرات وتذكرت أبيات وجيه الدولة بن حمدان:

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها	فلي بجنوب الغوطتين شجون
فما ذكرتها النفس إلا استخفني	إلى برد ماء النيرين حنين
وقد كان شكي بالفراق يروعني	فكيف يكون اليوم وهو يقين

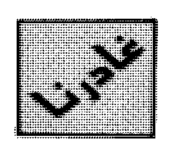
إن الجمال في سويسرا مشاهد لا ينتهي أولها إلى آخرها ففيها متعة النفس ومسرح الفكر.



● منظر من مدينة زيوريخ ●



إيطاليا



فرنسـا متـوجهـين إلى إيـطاليـا في صبيحة يوم حافل بالحـركة والنشاط ٢ ـ ١١/ ١٤٠٦هـ واتجهنا صوب الحـدود الإيـطاليـة وبعـد أن توقفنـا قليلاً عند بوابة الـدخـول وقـدمنا جوازاتنا للموظف الذي أعادها في الحال عبرنا الحدود ودخلنـا إيطاليا واجتزنا طريقاً تكثر فيه المرتفعات والتعاريج والالتواءات الجبليـة، لقد اجتهد الإيطاليون كثيراً في شق الطرق وسط الجبال حيث مررنـا بأكثـر من ١٧٠ نفقاً ومثلها جسور معلقة تضج بالحركة والنشاط ومررنا بعشرات القرى والبلدان التي تزدان بالحدائق النضرة والتي لا تفتر الحركة فيها والمصانع تنفث دخانها . . وألوان من الناس وأشكال شتى من البشر وزحـام شديـد في محطات الاسـتراحـة من السـائحـين من مختلف الجنسيات وتسمع مختلف اللغات وتشاهد شتى الملامح . .

وكانت السماء صافية والشمس طالعة وواصلنا السير في أرض مستوية تتخللها بعض التلال والأودية .

وتنقسم إيطاليا إلى مجموعتين فإيطاليا القارية عبارة عن سهل فسيح يحيط به جبال الألب أما إيطاليا الممتدة على سواحل البحر الأبيض المتوسط فهي تتكون من شبه

جزيرة طويلة تشكل سلسلة جبال، وكنا نشاهد جبال الألب الإيطالية والمياه الغزيرة التي تصل منها. . كما أن شبه الجزيرة الإيطالية كانت عرضة للزلازل.

وتجمع هذه البلاد بين مناخات متعددة وفصول متباينة في الشمال والجنوب. . وسكانها أكثر من ستين مليونًا ومساحتها ٣٠٠,٠٠٠ كم. . زرنا خلال جولتنا في هذه المناطق كلاً من (جنوا) ثم (نابولي) وهي مدينة جميلة وميناء هام لأنها على مقربة من روما وبها المصانع والمعامل والشركات وبها البيوت المختلفة الأحجام والأشكال. . وكان الجو يغرى بالنزهة فتجولنا في متاجرها ومعروضاتها وشوارعها الفسيحة ثم توجهنا إلى مدينة (بيزا) الثغر الجميل حيث التاريخ والمناظر القديمة وجمال منظر النهر الذي يخترقها والحركة السياحية النشيطة الدائبة في المدينة القديمة بمطاعمها المتناثرة على الأرصفة.

كما قمنا بزيارة إلى برج بيزا الشهير وقد عُدّ من عجائب الدنيا السبع. . وقد كان العالم (جاليلو) يلعب بالحصى من أعلى البرج حتى اكتشف قانون الجاذبية. . ثم واصلنا السير حتى وصلنا إلى مدينة (فلورنسا) وهي مدينة مفعمة بتاريخها المعماري



● أحد المناظر التاريخية في إيطاليا ●

والفنيٍ وفي فندق «الأسكندر» وهو فندق سياحي جميل كان مقامنا وكان المطر ينزل خفيفًا حينئذ والسماء متلبدة بالغيوم وكان مثل هذا الجو لا يسمح لنا بالتجول براحة فبقينـا في الفندق وأمضينا تلك الليلة . . وفي الصباح رحنا نتجول في بعض أحياء المدينة ونشاهد المعالم والصناعات اليدوية المحلية والأسواق القديمة . . وكانت المدينة تعج بالسياح والزوار وبعد تمضية يوم في ربوعها توجهنا نحو الريف الإيطالي ومررنا بعشرات القرى وسط السهول الفساح المترامیات والحقول والمروج ثم يأخذ الطريق نحو الجبال والمرتفعات حيث الأنفاق والجسور المعلقة بحيث يطل المرء على المدن من علٍ وبشكل مذهل وجميل وكنا نشاهد القلاع والجبال وبجانبها مصانع الرخام .

وفي مدينة «جيتو» توقفنا بها لتناول طعام الغداء ثم قمنا بجولة في ربوعها وأطرافها وكم يستمتـع المـرء بالـرحـلات البرية حيث يتمكن من مشاهدة الطبيعة الساحرة الخـلابـة . . وفي إحدى الإستراحات السياحية التقينا بأحد الإيطاليين فحدثنا عن مدينة بيزا وقال إنه من أبنائها فأخبرناه أننا كنا بالأمس في زيارتها . .

فقال : وهل أكلتم «البتـزا» الإيطالية التي اشتهرت بها تلك المدينة ومنها شاعت في العالم . . ثم سألته عن برج بيزا وأن هناك مرشدًا سياحيًا أخبرنا بأن البرج على وشك السقوط ولقد زرت البرج من داخله فلم أجد فيه ميلانا كما يشاع وقد صعدنا إلى شرفة البرج العالية حيث شاهدنا الحدائق الغناء ومنظر المدينة ومیناءها الشهير وقد كان له دور في الحروب الصليبية وله دور نشط في التجارة بين الشرق والغرب وقد بنى البرج عام ١١٧٥م . . وقال الإيطالي أن حكاية السقوط قد أصبحت شائعة منذ أوائل هذا القرن عندما لاحظ العلماء أن الميلان يزداد في كل عام ولميلان هذا البرج يعود فضـل اكتشاف قانون الجاذبية وسرعة سقوط الأجسام وأن الاهتمام من العلماء بالبرج قد بدأ منذ أكثر من سبعين عامًا حيث شكلت لجنة من الأخصائيين لمعرفة أنظمة وقوانين هذا البرج وفحص مواده وعمارته وهناك من اقترح تفكيك البرج وإعادة بنائه من جديد بعد ترسيخ قاعدته وهناك من يطمئن الناس بسلامة البرج .

والواقع أن مثار الدهشة هو ميلان البرج وهو مثار الجدل بين العلماء والسياح . . وأفاد بأنه أول من عالج الميلان عام ١٢٧٣م مهندس إيطالي يدعى «جوفاني سيموني» .

وتوجهنا بعد ذلك إلى مدينة «جيتو» وزرنا معالمها وهي مدينة صغيرة وبها شارع كبير تموج فيه الحركة والنشاط ثم واصلنا السير إلى مدينة «سورينتو» حيث وصلناها الساعة السابعة والنصف مساء وهي مدينة جميلة تقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط . . وتكتظ بالسياح وتزدان بالحدائق والمتاجر والشاطىء الجميل . . حيث شاهدنا صيادى الأسماك .

وقمنا برحلة إلى جزيرة (كابري) وتقع قرب المدخل الجنوبي لخليج نابلي في جنوب إيطاليا في مواجهة شبه جزيرة «سورينتو» والجزيرة عبارة عن كتلة منعزلة من الحجر الجيري بطول ٦,٢٥ كيلومتر وبأقصى عرض ٢,٨٠ كيلومتر ومساحتها عشرة كيلومترات مربعة ويرتفع جبل سولارو إلى ١٩٣٢ قدمًا وتستخدم تعاريج الشاطىء كمراسي للسفن، والمرسى الكبير يقع على الشاطىء الشمالي ويحميه حاجز للأمواج ويقع المرسى المفتوح (مارينا بيكولا) في الجنوب وهو يستخدم في حالة هبوب الرياح الشمالية بقوة .

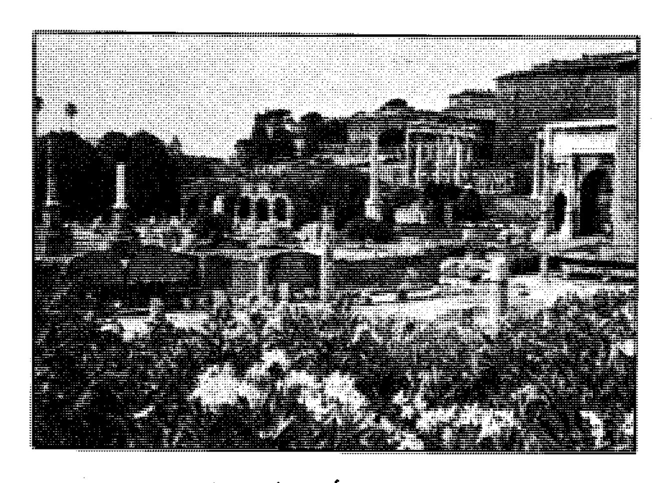
والجزيرة مسكونة منذ ما قبل التاريخ، ثم أصبحت مستعمرة يونانية ثم منتجعًا للأباطرة في بداية عهد الإمبراطورية الرومانية فقد أقام الإمبراطور أغسطس هناك كما بنى الإمبراطور تيبيريوس عدة فيلات إحداها فيلا لوفيس على القمة الشمالية الغربية المطلة على نابولي وقد تم الكشف عنها خلال الحفريات الأثرية .

وحين خاف سكان الجزيرة من هجمات القراصنة في القرن العاشر انتقلوا من مساكنهم على ساحل البحر إلى المدينة الحالية وهي (كابري) في الشرق و(آناكابري) في الغرب أعلى الشاطىء ولا يمكن الوصول إلى المدينة الثانية إلا عبر طريق البحر إلى أن تم بناء طريق للعربات في القرن التاسع عشر بين المدينتين - وكان - قبل بناء الطريق يلزم صعود سلم من ٨٠٠ درجة يطلق عليه السلالم الفينيقية . . وخلال العصر الوسيط كانت كابري تابعة لكنيسة فونت كاسينو وإلى جمهورية (امالفي) قبل أن تنضم إلى مملكة نابلي وقد تبودلت بين الفرنسيين والإنجليز عدة مرات خلال الحروب النابليونية قبل أن تعاد إلى مملكة المصنفليتين عام ١٨١٣م وقد وجدت أدوات حجرية في أحد الكهوف في الشواطىء الصخرية التي تحيط بالجزيرة وأشهرها هو الكهف الأزرق الذي أعيد أستكشافه عام ١٨٢٦م ولم يمكن الوصول إليه إلا بالقارب

ويعطى ضوء الشمس الذي ينعكس من صفحة الماء إلى مدخل الكهف منظرًا غريبًا من الضوء الأزرق ومن هنا اشتق الاسم . . كما توجد آثار قلاع من العصور الوسطى مثل قلعة باربـاروس وقلعة كاستيليون وأقدم الكنائس كنيسة القديس كوستانزو الرئيس الروحي للجزيرة وقد أقيم في مكان فيلا تيبيرويس فيلا أخرى تسمى فيلا سانت ميشيل بناها الكاتب السويدي «اكسيل مونث» .

ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر أصبحت كابري إحدى أشهر المنتجعات في جنـوب إيطاليا نظراً لمناظرها الرائعة وطقسها المعتدل والخضرة النضرة وبها أنواع عديدة من الطيور المهاجرة تحط هناك لعدة أيام .

وقد يكون لاسم المدينة أصلان . . إما كابرا وهي العنزة أو كابروس وهو الدب الوحشي . . وترتبط كابري بنابولي وسورينتو بخدمات القوارب البخارية وإلى جانب السياحة هناك النشاط الزراعي وصيد الأسماك .



● من المعالم الأثرية في روما ●

وبعد زيارة جزيرة سورنيتو ـ كابري زرنا ميدان القرية الملونة ثم عدنا بالمركب إلى سورنيتو حيث أقمنا في فندق «كاساراوجت» بعد رحلة يوم على ارتفاع مئات الأقدام في الجبال ووسط المغارات في البحر . . وقد كان البحر هائجًا مخيفًا وتزدحم هذه الجزر بآلاف السياح . . والواقع أن إيطاليا محور جذب قوي للسياحة بحكم آثارها ومناخها وشواطئها وجزرها ومرتفعاتها الجبلية ومدنها الريفية ذات الطبيعة الرومانية وطبيعتها

ومناظرها الجميلة والأنهار والبحيرات والأطلال والمناظر التي تعود إلى حضارة تلك البلاد وما مر بها من تطور ثقافي وفني، ولتاريخها البعيد وانتشرت ثقافتها عبر معظم بلاد أوروبا والبحر المتوسط. . وما كان للرومان والأغريق من آثار وحضارة وتجارة وفنون ومخترعات. .

وبعد تمضية وقت غير قليل غادرنا مدينة «سورنيتو» إلى ميدان القرية الأثرية ثم زيارة المناظر والمشاهد التاريخية في «بومبى» عاصمة الرومان. . وقد دفنت هذه المدينة نتيجة ثورة أحد البراكين وبدأ حفرها في القرن الثامن عشر وهي تضم أشياء كثيرة عن آثار الرومان وتاريخهم. . ومررنا ببلدان كثيرة وقرى وحدائق وبساتين وبحيرات وجبال وأنهار وأودية وغابات قبل أن نصل إلى العاصمة روما التي برزت بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية كعاصمة للمسيحية وقد كانت «تورينو» خلال حقبة طويلة عاصمة لإيطاليا وهي اليوم أحد المراكز الهامة لصناعة السيارات.

ووصلنا العاصمة بعد الظهر وتوجهنا صوب فندق «فيلا بامفيلي» واستقر المقام بنا فيه حيث الهدوء والمرافق السياحية.

وخلال الطريق إلى روما كان الطريق ممتعًا وجميًلا ومليئًا بالحركة وتذكرت قول الشاعر:

كست الطبيعة وجه أرضك سندسا　　　وحبت نسيمك إذ تضوع طيبا

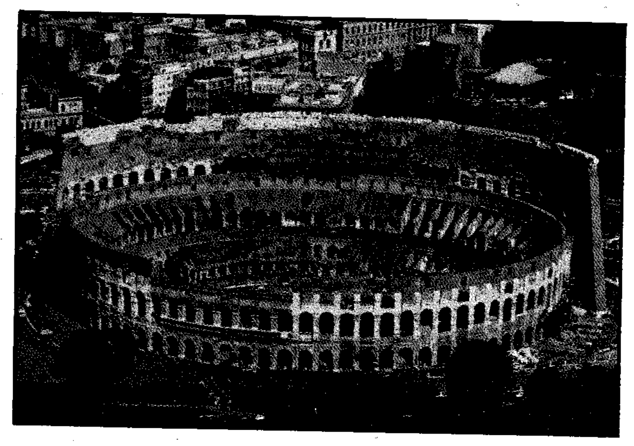
ومررنا بالجسور والمزارع والبحيرات والبساتين التي تمتلىء بالزهور ومنها بكثرة ما نسميه «عباد الشمس» وقد تبين أنهم يستخرجون منه الزيوت النباتية وغيرها من المأكولات وقد شاهدنا ذلك في مناطق أخرى من أوروبا وكنت أستغرب من كثرته وتعدد زراعته على هذا النحو وقد سألت أحد الإيطاليين فعدد لي مزاياه وفوائده الاقتصادية.

ولم تكن روما بالنسبة لي مدينة جديدة فقد سبق أن زرتها قبل هذه الزيارة في عام ١٣٩٣هـ وكذا عام ١٣٩٥هـ ولكن هذه المرة جئتها من البر بعكس الزيارات السابقة كانت من الجو وما أعظم الفارق من حيث الفائدة والاطلاع والتعرف على طبيعة البلاد وحياتها وعمرانها وأوجه الحياة في قراها ومدنها وأحوالها وطبائع شعبها وعاداتهم وتقاليدهم ولا شك أن السفر بواسطة السيارة فيه عناء وطول وقت وتصحبه متاعب

لكنه متعة وفائدة حيث يتمكن المرء من التجوال والاطلاع الواسع على المعارف والآثار والعادات والتقاليد والمقومات الحضارية وشتى ألوان المعرفة المختلفة.

وفي روما يشاهد المرء الآثار والمعالم والمتاحف والمعاهد والأماكن الأثرية القديمة والقصور التاريخية وأينما اتجه السائح سيجد ما يستحق النظر ويملأ العين بما يغرى بالمشاهدة.. فالمرء أمام تاريخ ممتد طويل عبر آلاف السنين إلى جانب الحدائق العامة والميادين وأماكن الفنون.. وهم في الواقع يهتمون كثيرًا بالآثار والفنون لدرجة أن المباني التي مضى عليها أكثر من مائة عام تصبح أثرًا يجري ترميمه ويعوض أصحابها.. وقد حكى لنا ذلك أحد المرشدين السياحيين التابع لإدارة الآثار وروى أمورًا كثيرة في هذا المجال وقلت له إن آثاركم تدل عليكم فحرصكم على صيانة الآثار جعلها مدينة بل عاصمة الآثار والفنون حتى الصخور حافظتم عليها من خلال النحت وحفر الأعمدة وكتابة النقوش عليها ولكن ينبغي أن تدركوا أن العرب سبقوكم

في هذا الميدان الذي تفتخرون بأنكم رواده فقد نحت العرب الجبال وجعلوها سكنًا وهو نحت ذكره المؤرخون من بلادكم بأنه لا يوجد له مثيل فالتفت الجميع من شتى الوجوه السياحية وصفقوا لهذه المقارنة العلمية التي لم يستطع الإيطالي أن ينكرها والتفت إليّ أحد الأخوة التونسيين فقال هكذا يكون الإعلام والدعاية لأمتنا وتاريخها.



● أحد المناظر السياحية في إيطاليا ●

فقلت لقد صبرت على مكابرة ومغالطة المرشدين السياحيين هنا وفي أسبانيا بحيث ينسبون كل تقدم وعلم لهم وحدهم ويسلبون أسلافنا كل علم ومعرفة.

إن الـزائـر لروما سيشاهد شتى المناظر الطبيعية الجميلة والبحيرات المتعددة في ضواحيهـا حيث تحلو الجلسـة على ضفـافهـا ويتناول المرء من المطاعم المجاورة لها الأسماك المشوية اللذيذة من أسماك تلك البحيرات.

وقمنـا برحلة إلى «بـراتشانو» تقع في شمال العاصمة وتبعد عنها حوالي ٣١ كيلاً وبحيرة «لوكو» وغيرها.. كما قمنا بزيارة إلى حديقة الملاهي ويحتاج خروجها ودخولها إلى نوع من اليقظة والانتباه حيث توجد بها شتى الألعاب الرياضية وغرفة الزجاج المتعددة الأبواب وكثيراً ما ضل الناس في كيفية الخروج من تلك الأبواب فقد ارتطم الكثيرون بزجاجها وبها حديقة جميلة رائعة ذكرتنا بقول الشاعر:

نزلنا بها واستوقفتنا محاسن يحن إليها كل قلب ويهواها

ومنها عدنا إلى الفندق بعد تمضية يوم حافل مفعم بالمناظر والمشاهد والذكريات.

وفي الصباح ذهبنا نتجول في شوارع روما وميادينها وسألنا أحد الأخوة المصريين من هواة الرسم والفن حيث أمضى في هذه المدينة سبع سنوات يمارس هذه المهنة عن تمثال الشاعر أحمد شوقي فأرشدنا إليه وهو قد كتب عليه اسمه كما رأينا بعض المسلات المصرية الموجودة في بعض الميادين.. ثم تجولنا في روما القديمة وقصورها ومتاحفها ولقد ترك الأقدمون آثارهم وتعيد إليك خوالي الأيام وأحداث الزمان.. إنها أطلال من الروائع يجليها رخامها واعمدتها ومرمرها وتنوع المناظر والمظاهر.

إنها منـاظـر تذهـل العقـول ولا غرو فقد كانت هذه المدينة مركزًا هامًا للثقافة والمعرفة، ولقد قرأت في بعض الكتب التاريخية أن الإيطاليين كانوا يفدون إلى غرناطة وقرطبة ابان مجدهما وتقدم العلوم والفنون بهما وبكثير من المدن الأندلسية وتلقوا العلوم عن أعلامها ونقلوا كثيراً عن حضارة الأندلس التي انبعثت من جنباتها أضواء العلم تنير العالم كله وارتفعت في نواحيها منائر العرفان تهدي سبل الحياة للسالكين.

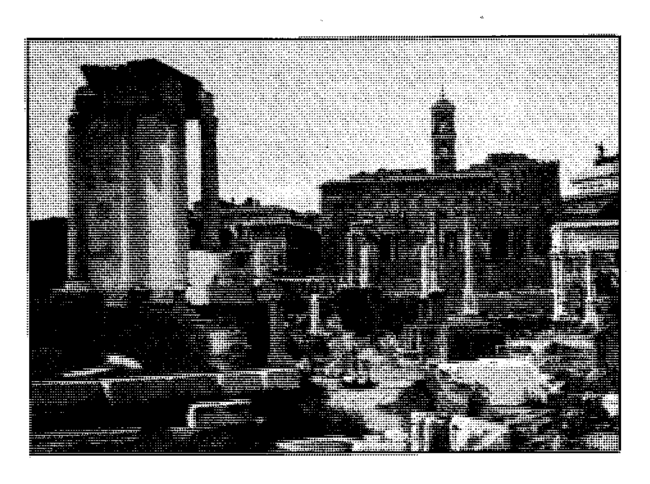
وذهبنا في اليوم الرابع إلى رحلة خارج روما لزيارة ومشاهدة قصر «ديستي» الذي يعـود تاريخـه إلى ٤٠٠ سنـة ومـا زالت حدائقـه ونوافيره وشلالاته في غاية الإبداع

والجمال. . والمنطقة التي يقع فيها القصر من المناطق الشهيرة حيث المناظر الساحرة وهي تبعد عن روما حوالي خمسين كيلاً وكان يمتلك هذا القصر أحد الأثرياء الإيطاليين وبهذا القصر المناظر والحدائق والخمائل والأجنحة والبرك المائية والشلالات التي هي آية في الجمال. . والحدائق درجات بعضها فوق بعض والواقع أن هذا القصر يزدان بأبهائه الفخمة وأفنيته الكثيرة ومن روائع الفن والإبداع كما أن الزهور والأشجار مهندسة مرتبة مختلفة الألوان بحيث تجمع لك كل المناظر الطبيعية. . وتركنا هذا القصر التاريخي حيث تجولنا في أسواق هذه البلدة وكانت جولة قصيرة ثم مضينا إلى أحد المطاعم المجاورة للقصر والمطل على بعض المناظر الجميلة وتناولنا طعام العشاء مع مجموعة كبيرة من السياح من كندا واستراليا وأمريكا وغيرهم وقد اشتهر هذا المطعم بتقديم الوجبات الإيطالية التقليدية فالمكرونة بأنواعها وكذا تقديم بعض الفنون الشعبية القديمة.

ورجعنا إلى العاصمة روما من طريق آخر وكانت الساعة الثانية عشرة ليلاً وكما يقال كل الطرق تؤدي إلى روما ووصلنا الفندق وكنا في حاجة إلى الراحة والنوم. . وفي الصباح غدونا مبكرين إلى زيارة المركز الثقافي الإسلامي ثم إلى مقر الفاتيكان وزيارة المكتبة والمتحف. . والفاتيكان هو عبارة عن دولة صغيرة كأي مدينة صغيرة مشابهة في أوروبا مثل أندورا وموناكو وليختنشتين. . تقع ضمن قلب مدينة روما العاصمة الإيطالية ـ ورغم ضآلة حجم هذه الدويلة فإنها تملك نفوذاً أعظم من نفوذ إيطاليا ذاتها ذلك لأنها مركز رئاسة أكبر فرع للديانة المسيحية وهي الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. . وهذه الدويلة مستقلة عن إيطاليا ويحكمها لجنة من الأحبار الرومان يعينها البابا.

أما كيف تكونت تلك الدويلة فذلك له تاريخ طويل منذ كان البابوات يمارسون لقرون طويلة سلطتهم الزمنية على وسط إيطاليا فيما يسمى بالولايات البابوية والتي كانت تضم مساحة ١٦٠٠٠ كيلو متر مربع وما يزيد على ثلاثة ملايين من السكان ثم دخلت هذه الأراضي في مملكة إيطاليا الجديدة في القرن التاسع عشر وصدر قانون عام ١٨٧١م بتحديد سيادة البابا بحيث تقتصر على قصور الفاتيكان واللاتيران في روما وضمن هذا القانون ميزانية سنوية للبابا.

وتقع مدينة الفاتيكان بجوار الجانب الغربي لنهر التيبر في روما وتشكل أسوارها التي بنيت في عصر النهضة في العصور الوسطى حدود تلك الدولة عدا الحدود الجنوبية الشرقية ناحية ميدان القديس بطرس فهذه الناحية مفتوحة للجميع ومساحتها ٥ كم تقريبًا ولها ستة مداخل أهمها ميدان القديس بطرس وقوس الأجراس والمدخل المؤدى إلى المتاحف وأهم المباني فيها هي كنيسة القديس بطرس وكنيسة جون لا تيران وكنيسة ماري ماجور والقصر البابوي وفيلا البابا الصيفية وقلعة جاندوفلو وبعض تلك المباني يمتد إلى خارج الحدود . . هذا إلى جانب محطة السكة الحديد ومحطة الإذاعة المقامة داخل الأراضـي الإيطالية.



● من المعالم الأثرية والسياحية في إيطاليا ●

يسكن مدينة الفاتيكان حوالي ١٠٠٠ نسمة معظمهم من الموظفين الدائمين في الحكـومـة ويمثـل القسـاوسة والرهبان أكبر نسبة منهم وإذا حضر الأحبار ورؤساء الكنـائس إلى الفـاتيكان في ظروف انتخاب البابا فإنهم يمنحون جنسية الفاتيكان وعندما يخرجون تنزع عنهم تلك الجنسية ليعودوا إلى جنسيتهم الأصلية . . وللمدينة نظام للتليفـزيون والإذاعـة والبريد وكذلك عملتها الخاصة ونظامها البنكي . . أما الجيش فقوامه مائة جندي من الحرس السويسري المميز بزي خاص فاخر وتصدر فيها صحيفة يومية اسمها (الابوزيرفاتور رومانو) كما توجد فيها مطبعة تصدر الكتب بكل اللغات حتى لغة التاميل الهندية . . وقمنا بزيارة إلى المكتبة بعد دفع رسم الدخول.

تضم هذه المدينة واحدة من أعظم المكتبات في العالم هي مكتبة الفاتيكان وتقع في الطابق العلوي من القصر البابوي وتشتمل على جناحين في صالة مستطيلة . . ووضعت الكتب داخل ٥٠ دولابًا مغلقًا كل دولاب يبلغ ارتفاعه ١,٧٥ مترًا ومثبت في الحوائط وفي الأعمدة الوسطى . . وزخرفت الدواليب برسومات تشير إلى محتوياتها ولكنها منسجمة مع التصميم الفني العام للأعمدة والحوائط والأسقف المقوسة المزخرفة بالفريسكو اللوحات المعبرة عن روما في القرن السادس عشر والتطور الباهر لفن الكتاب عبر العصور وتوجد مثل تلك الزخارف في الغرف الأخرى مثل غرفة الفهارس وقاعة مطالعة المواد المطبوعة ويزيد من جمال القاعة مجموعة الفازات والهدايا الملوكية التي قدمها الأمراء والملوك والقادة السياسيون للمكتبة .

تشتمل المكتبة على حوالي ٦٣٠٠٠ مخطوط و ٩٢٠ ٠٠٠ كتاب مطبوع وينقسم قسم المخطوطات إلى ١٦ قسمًا مغلقًا تضم المجموعات التي جاءت إلى المكتبة كاملة وجرى تقسيمها حسب لغتها مثل المجموعة التي جلبت من هيدلبرج عام ١٦٢٣م ومجموعة الكاردينال انجلوا ماي التي أضافها بيوس التاسع عام ١٨٥٦م وتقدر بأربعين ألف مخطوطة .

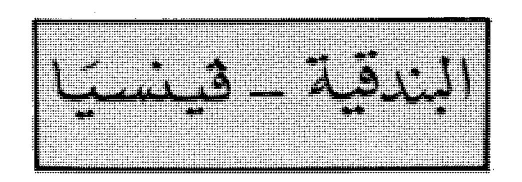
ويتولى إدارة المكتبة مدير وهو في نفس الوقت مدير المتحف الوثني والمتحف المسيحي ومسئول عن مجموعة المسكوكات أما الوثائق فهي تحت إشراف كردينال ومجموعاتها الرئيسية هي المجموعة السرية ثم وثائق الدولة . . ويقصد هذه المكتبة يوميًا آلاف الباحثين في العلوم الكنسية واللاهوت وخاصة أتباع المذهب الروماني الكاثوليكي ولهذه المكتبة شهرة في الشرق والغرب . . وهكذا فالفاتيكان مكان واسع وكثير الأقسام .

وبعد أن أمضينا برهة من الزمن في هذا المكان ومشاهدة ما يحيط به من المباني عدنا إلى الفندق للراحة وقد كان الفندق الذي نسكنه على درجة من الأناقة والجمال فإذا دخله المرء مجهدًا مكدودًا نسي التعب حيث أنه يقع في مكان هادىء خارج روما . . وكان الجوع قد أخذ منا كل مأخذ بعد جولة طويلة في متحف و مكتبة الفاتيكان .

فدخلنا مطعم الفندق وجاء النادل لنا بقائمة الطعام الإيطالي فاخترنا منها ما رايناه مناسبًا .

وفي المساء قمنا بزيارة لمكتبة المجمع العلمي الإيطالي حيث تشتمل على مجموعة من المخطوطات العربية المصورة كما أن بها قاعات للمطالعة ثم ذهبنا لإحدى المكتبات التي تباع بها الصحف العربية في قلب روما حيث أخذنا مجموعة من الصحف وتوجهنا بعد ذلك إلى الفندق للراحة والنوم استعدادًا للسفر غدًا إلى مدينة البندقية. . فينيسيا عبر جبال الانباين ومررنا بعشرات الأنفاق الجبلية والجسور المعلقة الشامخة وتوقفنا عدة مرات في الطريق حتى وصلنا إلى مدينة البندقية الخامسة والنصف عصرًا.

وقد كان الطريق حوالي ٥٠٠كيلٍ، ورغم طوله فقد كان جميلاً وممتعًا حيث الحدائق ومزارع العنب بل جنات ألفافًا وأقمنا في فندق «بلازا». .



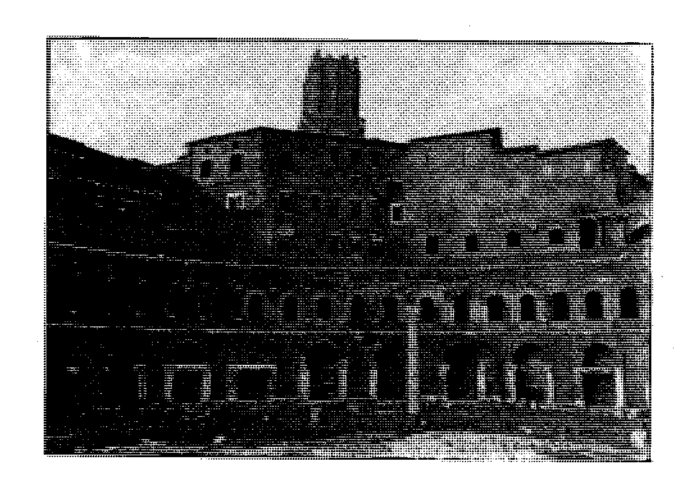
مدينة فريدة بديعة. . وميناء رئيسي في شمال إيطاليا. . وعاصمة منطقة فينيتو والمركز السابق للجمهورية البحرية التي عرفت قوتها السياسية والبحرية في كل أرجاء إقليم البحر الأبيض لأكثر من ألف عام. . ورغم أن هناك مدنًا أنشئت فوق جزر وتغشاها القنوات وغنية بالفن والعمارة وذات قوة علمية إلا أنه لا يوجد سوى ڤينيسيا واحدة فقط فربما لا يوجد مدينة أخرى في العالم ظلت لزمن طويل مثلها لأن قوارب الجندول وبحارتها في قنواتها ومبانيها وآثارها تجعل منها متحفًا حيًا للماضي ونظرًا للمحيط الشامل الذي قد يميزها ليس فقط عن جميع المدن الأخرى في العالم بل عن العالم المعاصر ذاته.

والبندقية تقع في مركز بحيرة هلالية الشكل تمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي بطول ٣٢ ميلاً (٥١ كيلومترًا) وهذا الكيان المائي يختلف في العرض بين ٥ , ٩ أميال ويفصله عن بحر الإدرياتيك حاجز ضيق من الجزر وشبه الجزر وتم بناء مركز المدينة التاريخي فوق أرخبيل من الجزر والشواطىء الطينية بطول ميلين تقريبًا وعرض ميل واحد أما حدود المدينة الحديثة التي تحتضن محيط البحيرة البالغ ٩٠ ميلاً فتشتمل على الجزر العشر الرئيسية بخلاف جزر المدينة الأم والضاحيتين الصناعيتين: مستر

ومازغيرا في الأرض الرئيسية وكلها اندمجت في المدينة عام ١٩٢٧م.

وسكان ڤينيسيا حوالي ٣٥٠,٠٠٠ نسمة.. وقد فقدت البندقية جزءًا منها عام ١٨٤٦م عندما أقيم كوبري علوي بطول حوالي ميلين فوق ٢٢٢ قوسًا لمد الخط الحديدي من الأرض الرئيسية.

وفي عام ١٩٣٢م أقيم كوبري مواز للسيارات وقد قاوم السكان هذين الرباطين ونجحوا في إجبار العربات على الانتظار في طرف الجزيرة وما زالت المعارك مستمرة بين أنصار القديم والمحدثين ولكن أكثر المشاكل إلحاحًا اليوم إنما هي إقليمية.. فبالإضافة إلى الدمار الناتج عن حركات المد والجزر المتكررة بكثرة والفيضانات فقد اكتشفت أن الجزر تغوص في البحيرة بسرعة أكبر عما كان في القرون الماضية.. ومثل سائر المدن التي تتعرض آثارها وأعمالها الفنية للإندثار.



● منظر في ڤينيسيا ـ البندقية ●

ويقال إن اكتشاف الأمريكيين أثر على ڤينيسيا في الركود الاقتصادي خلال القرن السادس عشر الميلادي ورغم أنها كانت فترة النهضة الأوروبية فقد كانت تنشط الحياة الفنية والفكرية فيها إلى آفاق جديدة.

ولقد نجح نابليون في إنهاء حكم الأقلية في ڤينيسيا وبعد أن صارت تتقاذفها القوى الأوروبية المتصارعة لعدة عقود زمنية اندمجت أخيرًا في إيطاليا عام ١٨٦٦م بعد أن

توحـدت إيطاليا واعتمد نموها على دورها في الحياة التجارية لإيطاليا وعلى استثمار إمكاناتها الطبيعية والجمالية التي جذبت الزوار لقرون عديدة من كل أرجاء العالم.

ويشق المدينة ١٨٠ قناة ـ منها متوسط عرضها ١٢ قدمًا تبشق مجراها الأصلي بين الجزر الأصلية البالغ عددها ١١٨ جزيرة ـ أما القناة الكبرى التي تجرى حول قوسين كبيرين خلال المدينة فهي تشكل النهر الرئيسي خلال الجزر ويسمى نهر «التو» وتحور إلى اسم ريالتو وطولها حوالي ميلين ومتوسط عمقها ٩ أقدام وأقصى اتساع لها ٢٢٨ قدمًا وأقل اتساع هو ١٢٠ قدمًا يقع على ضفافها ٢٠٠ قصر بنيت بين القرنين ١٢، ١٨ وعشر كنائس ومحطة غاز بحرية وتلتقى مع ٤٦ قناة جانبية لتشكل أجمل شارع في العالم.

لم يوجـد فيهـا سوى كوبري واحد حتى القرن التاسع عشر فوق هذا الشارع الضخم وأسمه كوبري ريالتو. فهذا الكوبري العالمي ذو القوس الواحد والمزدحم بالدكاكين الصغيرة أقيم طبقًا لخطط المهندس انطونيا دابونتا الذي ربح المنافسة من مايكل انجلو والفنانين العظام في ذلك العصر (عام ١٥٩٠م) ـ وهو الآن خامس كوبري في هذا المكان إذ يوجد جسران مسطحان من الحديد المطروق أقامهما المحتلون النمساويون عام ١٨٥٤م واستبدلا بغيرهما ليلائما الاتوبيسات النهرية الكبيرة وأعيد بناء كوبري محطة السكة الحديد بالحجر وبنيت جسور خشبية أخرى مؤقتة ـ ومن بين الجسـور الـدائمـة التي يبلغ عددهـا ٤٠٠ جسر ـ ذلك الجسر الشهير باسم جسر التنهدات وهو ممر مغطى يعلو القناة بين قصر الدوق وسجن الجمهورية.

وفي عام ١٨٨١م أدخلت شركـة فرنسية الأتوبيسات البخارية النهرية في القناة الكبرى وتسمى فابوريتي.

وانخفض عدد قوارب الجندول من ١٠,٠٠٠ إلى ٤٠٠ لأن الجندول اليوم أمام منافسة ٧٥ تاكسيًا مائيًا تسير بالموتور.

وتوجد أنواع مختلفة وعديدة من المراكب في ڤينيسيا تبدأ من الصندل الصغير ويسيره البحـار واقفـا بالتجديف بمجدافين متقاطعين وكذلك قوارب إسعاف زرقاء تسير بالمـوتـور وقـوارب للمـطافىء والبريد وقوارب مجمع القمامة وقوارب تبيع المشروبات وقوارب الشرطة السريعة وقوارب صيد السمك عالية السوارى. وعلى اليابسة التي

فيها حمامات سباحة توجد سيارات الأجرة وعربات السكة الحديد ـ وتمر بين تلك القوارب سفن الشحن وتشكيلة ضخمة من قوارب التسلية.

وتشتمل ڤينيسيا على ٣٠٠٠ شارع يابس يبلغ مجموع طولها ٩٠ ميلاً والعمارة لها شكل فينيقي كما أنها طعمت بالأساليب الفنية المتتالية عبر القرون فنجد التأثير الإيطالي والعربي والبيزنطي والقوطي وعصر النهضة . . فنجدها منفردة أو مشتركة مثل الفينيتو ـ بيزنطى كما ساهمت عوامل أخرى في تنسيق التجميع المعماري مثل التصميم المتكرر للشارع أو الكبري أو القناة . . تظهر الحجر كما لو كان شفافاً وتحيل المباني إلى أشكال غير مادية في انعكاسات صورة على صفحة الماء وكل شيء غارق في انعكاس الأنوار الملونة ومتكرر بين البحر والسماء.

ومن أهم الميادين: ميدان سان مارك

حيث الأنغام العادية للأحجار والهواء والماء . . وسان مارك أحد أشهر ميادين العالم فهذا الصالون الرخامي الذي طوله ٥٧٤ قدمًا وعرضه ٢٦٠ قدمًا كان المركز الاجتماعي والسياسي للسيرنيسيما (اسم فينيسيا القديم) فالبواكي على ثلاثة جوانب وتغلق نهايته الشرقية بكنيسة سان مارك ذات برج الأجراس الذي يرتفع إلى ٣٢٤ قدمًا إلى جانب قصر الدوق ـ الكنيسة ذات لون ذهبي والقصر بلون أحمر.

وقد بنى المدخل المائي إلى الميدان حيث تلتقى القناة الكبرى مع حوض سان مارك وتسمى درجات السلم الرصيف باسم «المولو» ومن هناك إلى داخل اليابسة وبين المكتبة القديمة وقصر الدوق ـ الرصيف المنمط للميدان الصغير ـ تؤدي إلى برج الأجراس في الميدان الرئيسي ـ ويتميز المولو عن الميدان الصغير بعمودين من الجرانيت مجلوبين من شرق البحر الأبيض المتوسط في القرن الثاني عشر الميلادي.

أما قصر الدوق فقد بني أول عام ٨١٤م وكنيسة سان مارك بنيت بعد ١٦ عامًا من ذلك التاريخ والتهمتهما النار في عام ١٩٧٦م وأعيد بناؤهما فورًا ـ واحترق القصر في عدة حوادث بحرائق متتالية أما وجوده الحالي فيرجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي حين أعيد بناؤه ثم جرى توسيع القصر في القرن التالي.

وعلى الجانب الشمالي من الميدان توجد المحكمة القديمة التي بنيت في بداية القرن

السادس عشر وعلى الجانب الجنوبي المحكمة الجديدة التي بنيت في القرن السابع عشر ويشغل الطابق الأرضي من هذه المباني محلات تجارية فاخرة ومقاهي . . والأدوار العليا تضم المتحف المدني الذي يعرض المومياء المحلية والأواني والأعمال الفنية.

كما يوجد في نفس المباني متحف الريزجويمنتو الذي يعرض تاريخ ڤينيسيا . . وعلى زاوية تواجه الميدان الصغير توجد المكتبة القديمة الرائعة العمارة وفي طرفها تجاه القناة توجد دار ضرب السكة ـ وكلاهما تم بناؤهما في منتصف القرن السادس عشر على يد المهندس جاكويو سانسوفينو عندما هرب من روما إلى ڤينيسيا عندما اجتاحت أسبانيا روما ـ كما صمم المباني التي أصبحت مقر الشرطة والهاتف ومتحف الأرخبيل والمكتبة الوطنية مارسيانا ومكتبة المدينة المركزية التي تقتني المخطوطات المزخرفة للقرن الخامس عشر ومطبوعات ڤينيسيا.

ولا يزال ميدان سان مارك هو مركز ڤينيسيا ولا يخلو أبدًا حتى ساعات ما قبل الفجر الثلجية في الشتاء من الناس ـ وفي الصيف تخرج مناضد المقاهي لتلقى السياح بينما المرشدون السياحيون يخطبون والفرق الموسيقية تترنم بألحانها والحمام يأكل بشراهة مما يلقيه السياح عليه.

والحمام الشره أحد أعداء الكنوز الفنية في ڤينيسيا كما يقول لنا المرشد السياحي لأن فضلات الحمام تلوث تلك الكنوز وتتراكم على أسطح الأعمدة والقصور واللوحات المرسومة في السقوف.

وتجد في الميدان ـ كما في كل مكان آخر من ڤينيسيا الأسد الرمزي وفي جميع الأشكال والأحجام.

والمدخل الرئيسي لقصر الدوق يضم ٧٥ منها كما لا يزال يوجد صناديق الخطابات البحرية على شكل أسود تلقى في أفواهها العرائض الموجهة إلى مجلس العشرة وأمام الترسانة البحرية توجد تماثيل عديدة من الرخام لحيوانات ووحوش خطط عليها المرتزقة النورمانديون الذين كانوا في خدمة البيزنطيين ذكرياتهم.

بنيت الترسانة البحرية في القرن الثاني عشر يحيطها حائط طوله ميلان وكان يعمل بها ١٦,٠٠٠ عامل في وقت مجدها في القرن السادس عشر وكانت تنتج سفينة جديدة كل يوم خلال ١٠٠ يوم أثناء الحرب ضد الأتراك ـ وكلمة الارسينال أي الترسانة

مأخوذة من اللغة العربية وهي إحدى الكلمات العديدة.

ويمتد من أسفل القوس الخاص ببرج الساعة شارع تجاري أنيق يسمى المارزريا ويصل حتى الريالتو ـ وكان الريالتو تدار فيها أعمال أوروبا التجارية خلال القرون الثلاثة حتى أصبحت ڤينيسيا حلقة الوصل بين الشرق والغرب وأقدم بنك حكومي هو بنك جيرو الذي أسس في القرن الثاني عشر الميلادي ملاصقًا لمكاتب الملاحة والتجارة والشحن وقد ذكر كمكان لتجمع التجار والمرابين في مسرحية شكسبير «تاجر البندقية» عام ١٥٩٦م وما تزال توجد بنوك قليلة في هذا الحي.

وتقع قيصرية التجارة التركية القديمة بعيدًا على ضفة القناة الكبرى وقد تحولت الآن إلى متحف التاريخ الطبيعي ـ والتجارة التي تغرق المحلات الآن ذات طابع محلي: السمك ـ اللحوم ـ الجبن ـ الدواجن ـ الخضروات والفواكه والمشترون الفينسيون يتبعون التقاليد بشراء ما يكفي لوجبة واحدة بعكس غيرهم من المدن الأخرى والسياح.

وتتعرض ڤينيسيا للفيضان عندما تتوافق عدد من العوامل الجوية والمائية لإحداث مد نافوري فوق مياه البحيرة التي وصلت مسبقًا إلى مستوى مرتفع ـ وقد تكرر حدوث الفيضان ٥٨ مرة بين ١٨٦٧م ـ ١٩٦٧م وقد عملت الحكومة الإيطالية بالتعاون مع الخبراء العالميين على وضع أجهزة إنذار تعطى إشارة قبل ١٢ ساعة من حدوث الفيضان واقترحوا وضع سدود متحركة للتحكم في تيار الماء عند الفتحات التي يمر خلالها البحر إلى البحيرة وخارجها.

وأصبح واضحًا أن ڤينيسيا تغوص بثلاثة أمثال معدل الغوص في القرون الغابرة بمعدل ١٢ بوصة كل قرن بينما كان المعدل السابق ٤,٥ بوصة في القرن بينما يرتفع مستوى سطح البحر بمعدل ٤ بوصات في القرن وهذا الغوص نائج عن ثقل المدينة فوق طبقة الطين البالغة ١٦٠٠ قدم القابضة فوق الطبقة الصلبة تحت قاع البحيرة وهناك سبب آخر واضح هو استنزاف مياه الشرب بالآلات الميكانيكية من ينابيعها الجبلية تحت الأرض لاغراض الصناعة فعندما تستنزف المياه تتحطم الجيوب التي كانت تحتويها وتهبط الأرض التي فوقها.. هذا دفع إلى التحكم والسيطرة على استهلاك المياه وإلى إغلاق أكثر من ٢٠,٠٠٠ بئر وذلك بعد بناء سدود مياه تستمدها من الجبال.

وفي عام ١٩٦٩م اكتشف أن إحدى الصناعات التقليدية القديمة وهي صناعة الـزجاج والمنسوجات تستخدم عددًا كبيرًا من أهل ڤينيسا كما أن ٢٠٪ - ٣٠٪ من القـوى العاملة ترتبط بأنشطة الميناء ولكن اليوم نجد ميناء مارغيرا وهو أحد أحياء ڤينسيا يملك ٨ أضعاف طاقة المدينة القديمة كما أن حوالي ٢ مليون سائح يوفرون العمل لثلث القوة العاملة ولكن هذه الحركة كلها تتركز في خلال ثلاثة شهور في فصل الصيف . . حيث تتحول المدينة إلى متحف يعج بالسياح من شتى الأجناس.

كانت الجزر المحيطة بها خالية تمامًا من السسيارات فالمواصلات فيها هي القوارب والمراكب فقط بين البيوت وتشتمل على المطاعم والفنادق والأسواق المليئة بالكرستال والزجاجيات . . وقمنا بزيارة لأحد المصانع الخاصة بالزجاجيات الفاخرة وتناولنا طعام الغـداء في أحد مطاعم تلك الجزر الفاتنة وذات الجو البارد الجميلٍ ثم قمنا بزيارة لقصر «دودجيس» الذي مضى على بنائه ستمائة عام ومازال شامخًا حقًا إن هذه الجزر لآية في الحسن والجمال.



● **معالم أثرية من إيطاليا** ●

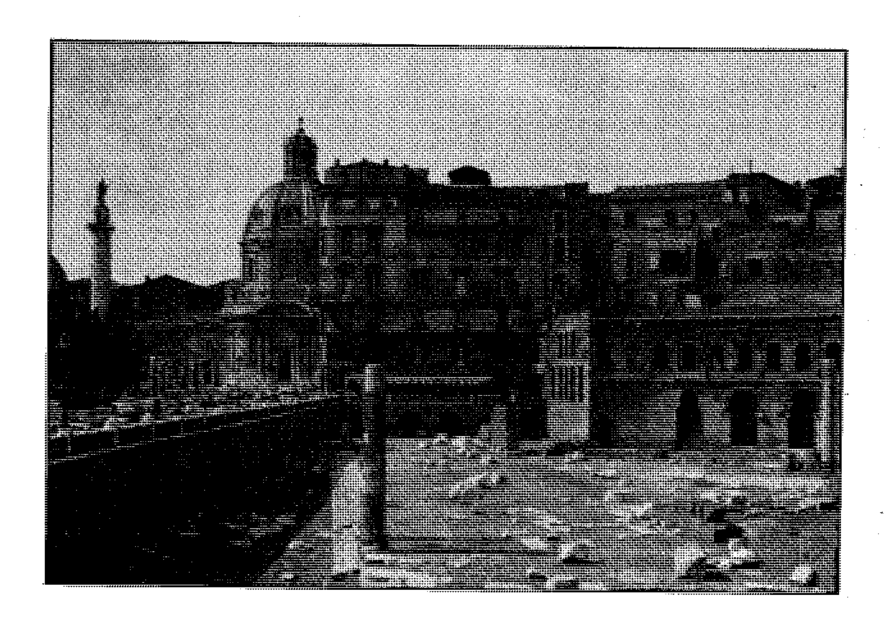
ولقد وضعت بلدية البندقية لافتات بمنع السياح من النوم خلال الليل بجانب القنوات وقال رئيس البلدية أن المدينة لا تلقى الاحترام اللازم من السياح ويجب ألا يسمح لهذا المركز التاريخي بأن يتحول إلى موقع مخيم.

وقد قام رجال البوليس بدوريات حيث أيقظوا مئات من السياح الشباب الذين لا يستطيعون دفع أجور الفنادق الغالية وينامون في العراء.

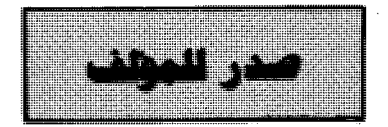
وبعد زيارة لأهم معالمها غادرنا هذه المدينة الجميلة الرائعة تحت وابل من المطر كان ينهمر في هذه الأثناء وكان يومًا ممتعًا يشد لإقامة أطول في هذه المدينة لما تمتاز به من جمال الطبيعة ونسق الحياة وروعتها وسحرها.

ثم أخذنا باخرة إلى شواطىء المدينة وكنت أتذكر كم شهد هذا البحر من وقائع وكم حمل من سفن وكم رافق من حوادث جسام.. وكان في انتظارنا حافلة فصعدنا بها متوجهين نحو بلاد أخرى مرددًا قول الصديق الأستاذ عبد الكريم الجهيمان:

أرحل وشاهد بها ما قد سمعت به	**شتان عندي بين الخبر والخبر**
وسوف تلقى بها أضعاف ما سمعت	**أذنان من منطق قد ليث بالحصـــر**
وسوف تبهرك الأنوار ســـاطعة	**بكل علم حباه الله للبشـــر**
فاشدد رحالك وأعجل فالدنا فرص	**وما سماعك بالاثار كالنظـــر**



● ميدان ڤينسيا ـ البندقية في إيطاليا ●



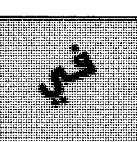
عبدالله بن حمد الحقيل

على مائدة الأدب

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م





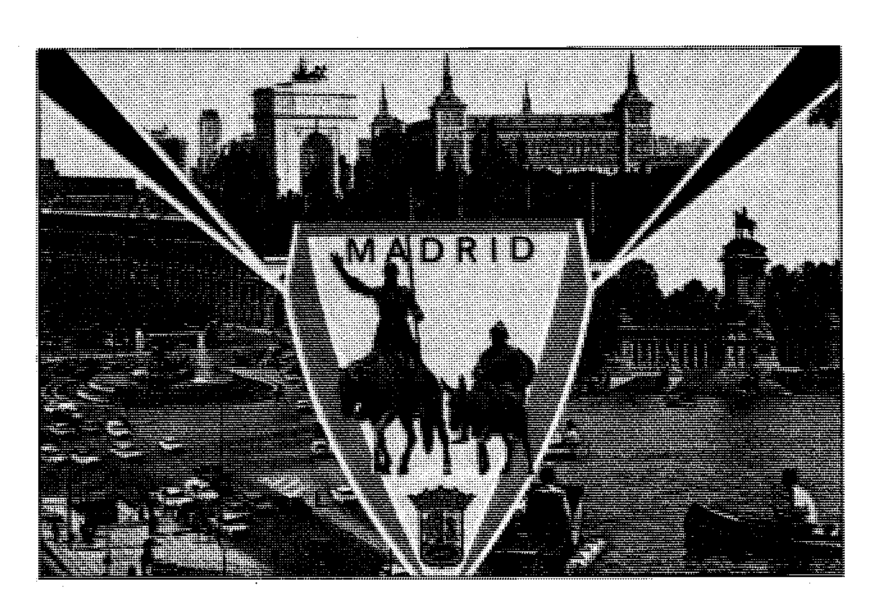
صباح يوم مشرق سعيد هو يو ١٩/ ١١/ ١٤٠٦هـ شددنا الرحال متوجهين صوب الحدود الإسبانية وتناولنا طعام الإفطار في إحدى القرى الإسبانية الجميلة وهي «بريتوريا» بعد أن دخلنا أسبانيا وأمضينا لحظات سعيدة في استعراض التاريخ والذكريات الجميلة إبان زيارتي لأسبانيا منذ عشرين عامًا. . حين زرتها عن طريق الجزائر والمغرب حينما كنت إذ ذاك أعمل معلمًا في مدينة وهران الجزائرية إلا أن الطريق الذي نسلكه اليوم يختلف عن السابق. . فقد عبرنا في رحلتنا الماضية مع الطريق الذي عبر معه أسلافنا الميامين ودخلنا عن طريق جبل طارق. . ومدينة مليلية وملقة.

أما هذه المرة فقد سرنا تقريبًا مع الطريق الذي عبره القائد الفذ المسلم عبد الرحمن الغافقي حين اتجه إلى الأراضي الفرنسية في فتوحاته العظيمة وبعد أن تجولنا في «بورجوس» هذه البلدة الجميلة. . حيث المناظر البديعة والمعالم الأثرية والمشاهد الأخاذة من قمم جبلية عالية وسفوح مليئة بالأشجار. . وواصلنا السير وأخذ مرشد الرحلة يصف الطريق ويذكر الأماكن التي مررنا عليها ويسمي القرى وأغلب القرى التي مررنا بها يبرز

فيها البناء الأندلسي والطابع الإسلامي . . ولا غرو فقد ظلت أسبانيا طيلة ثمانية قرون ترتع في حظيرة الإسلام . . ومما ينبغي الإشارة إليه اهتمام الأسبان بالسياحة وتركيزهم عليها . . وجهزوا استراحات سياحية على طول الطريق . . ولا غرو فأسبانيا أول دولة في العالم من حيث عدد السياح . . ومن حيث أماكنها السياحية.

ولكم تذكرت التاريخ والماضي المجيد وأوائل القادة الذين فتحوا هذه الديار واستقروا فيها من أمثال طارق بن زياد وعبد الرحمن الداخل وكلما لاحت لي نخلة تذكرته ورددت قوله:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
نشأت بأرض أنت فيها غريبة ... فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي



● مناظر عامة لمدينة مدريد بأسبانيا ●



لقد أكثر المؤرخون في وصف هذه الديار وفضل الإسلام والمسلمين عليها. . وكلما ذكر المرء ذلك الماضي تألم وامتعض فقد تغير ذلك الوجه المشرق المضيء رغم تشويه المؤرخين الأوربيين لحقيقة الفتح الإسلامي. . فقد نسجوا قصصًا خيالية بعيدة عن الواقع ومجانبة للحقيقة. . ولعل من تكرار القول الحديث عن الدولة الإسلامية وتاريخها في الأندلس فكل إنسان يعرف عنها والكتب تحمل ذلك وتبرزه بجلاء ومن ذكر ذلك نتخذ الموعظة والعبرة. . ولقد قال شاعر رنده من قصيدة طويلة مؤثرة:

وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شأن

ولنعد إلى الرحلة. . فبعد المرور بعشرات البلدان والقرى وزيارة ما بها من الآثار والأمكنة وهي بحق تمثل الجمال وتبعث الروعة والسحر. . وتشتهر تلك المدن بآثارها الإسلامية وغير الإسلامية. .

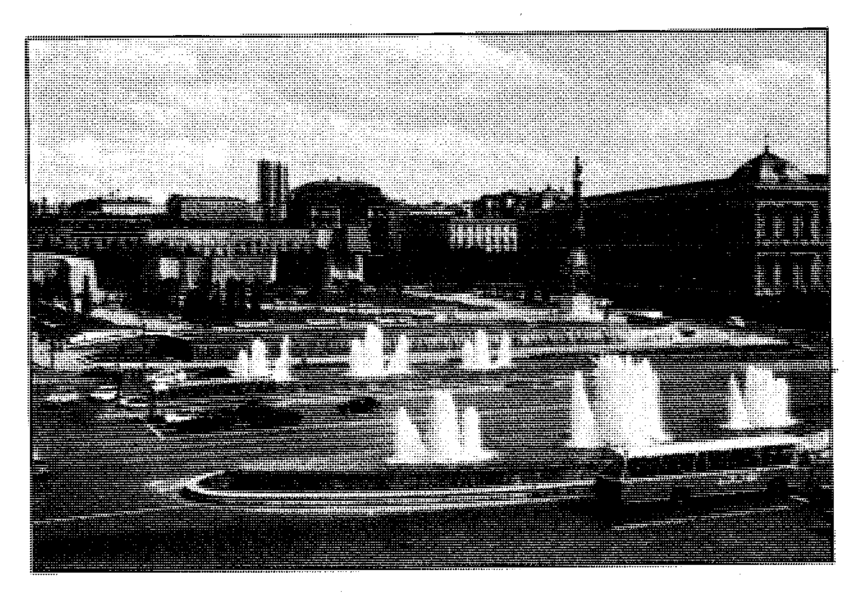
ثم انطلقنا نحو العاصمة مدريد وسط جبال وطرق شتى وشاهدنا فيها مختلف المناظر الطبيعية الخلابة والقرى الجميلة وطال بنا السير حيث كنا نسير في الجبال بهدوء وبطء حتى توقفنا في العاصمة وذهبنا نحو فندق «كونفيسون» ومضينا في الصباح إلى زيارة أهم معالمها كالمتحف الكبير وشاهدنا عشرات الرسامين بداخله ثم أخذنا جولة في المدينة وهي تزخر بالحركة والعمران كأي عاصمة أوروبية.

وفي المساء خرجنا نحو مدريد القديمة ومراكزها الأثرية. . كما قمنا بزيارة لبعض الأمكنة والميادين القديمة فيها ذات القيمة التاريخية وجولة في ضواحيها وأطرافها البعيدة والقريبة والمركز الإسلامي الثقافي وله نشاط ثقافي ومجلة دورية تعني بالبحوث التاريخية والمخطوطات باللغتين الأسبانية والعربية.

وفي صباح اليوم الثالث توجهنا نحو الاسكوريال وقطعنا حوالي خمسين كيلاً فوصلنا إلى تلك المنطقة التاريخية والتي يعتبرها الأسبان إحدى عجائب العالم حيث تضم الكنيسة والقصر والمقبرة الملكية والدير والمدرسة الملحقة به وبها أمكنة مختلفة . . وبعد تجوال في المنطقة توجهنا نحو مكتبة الاسكوريال الشهيرة والتي يوجد بها بقايا التراث الأندلسي الفكري. . وهي تقع في الجهة اليمنى من القصر وتضم بهوًا واسعًا

تعـرض فيه مجمـوعة من المخطوطات التي تحتويها المكتبة ومنها مصحف كان لأحد سلاطين المغرب. . ومكتبة الاسكوريال ليست غنية من الناحية الكمية فهي تحوي أكثـر من سبعـين ألف مجلد ولكنهـا غنية بما تحتـويه من نوادر المخطوطات العربية واللاتينية واليونانية والعبرية وغيرها وهي تبلغ نحو عشرة آلاف مخطوط. . ويبلغ ما تحتويه اليوم من المخطوطات العربية ألفي مجلد على حد تعبير أمين المكتبة.

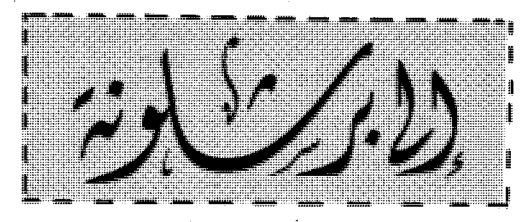
هذه المكتبة التي تجذب اليوم محتوياتها جمهرة الباحثين من سائر أنحاء العالم كانت في بدايتهــا تتكـون من المكتبـة الملكية ومما كان يشـتريه سفـراء الملك فيليب من المخـطوطات النادرة من مختلف الأقطار وضمت إليها منذ البداية بضعة ألوف من المخطوطات العربية التي جمعت بعد سقوط غرناطة من غرناطة نفسها. . ومن سائر المدن الأندلسية ثم زادت هذه المجموعة العربية زيادة كبيرة في عصر فيليب الثالث حينما استولت السفن الاسبانية في مياه المغرب سنة ١٦١٢م على سفينة مغربية كانت تنقل مكتبة سلطان مراكش وقوامها ثلاثة آلاف مجلد في مختلف العلوم والفنون وبذلك بلغت المجموعة العربية في الاسكوريال في أوائل القرن السابع عشر نحو عشرة آلاف مجلد. . ثم في عام ١٦٧١ شب حريق في القصر قضى على جلهــا من الكتب فلم يبق سوى ألفي مجلد وهي التي توجد اليوم في المكتبة.



● أحد الميادين في أسبانيا ●

وبعد تمضية بضع ساعات في داخل القصر ومشاهدة المتحف واللوحات والمكتبة توجهنا بعد ذلك إلى وادي الشهداء الذي لا يبعد إلا قليلًا من الاسكوريال وقد بنى الجنرال (فرنسيسكو فرنكو) كنيسة داخل جبل وأقام في قمة الجبل صليبًا هائلاً تخليدًا لشهداء الحرب الأهلية الأسبانية وعمق الكنيسة داخل الجبل حوالي ٣٥٠ مترًا وعرضها ٢٥ مترًا تزين الكنيسة لوحات من الداخل وفي نهاية الكنيسة في القبة الرئيسية لوحة تحتوى على رسوم من قطع المزايكو الصغير ويقال أن عدد القطع ثمانية ملايين قطعة. . وعلى جوانب الكنيسة تقع مدافن بعض ضحايا الحرب، وقد قبر الجنرال فرنكو في نهاية الكنيسة.

ثم غادرنا المنطقة وأخذنا طريقنا نحو العاصمة مدريد بين جبال خضراء وكنت أقيم انطباعاتي في ضوء ما شاهدته في الأسكوريال وماضيها وحاضرها وتذكرت ما سبق أن قرأته عن حرص الأسبان على إخفاء الآثار الإسلامية عن نظر كل باحث حيث كانو يخشون أن يتسرب الإسلام إلى تفكير وروح أبنائهم فدفنوا الكتب في هذا القصر ثم صار مزارًا للسائحين.



ومضينا في الصباح إلى برشلونة وقد واصلنا السير أكثر من سبع ساعات متواليات توقفنا خلالها نصف ساعة لتناول طعام الغداء وكان الجو لطيفًا وكانت الطريق إليها خضراء حينًا وصحراء قاحلة فهناك اختلاف كبير بين المناطق وعبرنا وسط جبال وسهول وأودية ومررنا بالعمران والصحراء واستمر بنا السير حتى وصلنا إلى برشلونة وهي مدينة تطل على البحر الأبيض المتوسط وهي المدينة الثانية في أسبانيا ويسكنها ثلاثة ملايين وحططنا رحالنا في فندق (برزدنت) في قلب المدينة. . وقضينا تلك الليلة في راحة وهدوء وخرجنا في الصباح نتجول في المدينة فوجدناها بديعة ونظيفة في الجمال وطراز البناء. . وفي برشلونة ميادين كثيرة وحدائق عديدة وزرنا ميناءها والمركز التجاري وجامعتها العريقة والتي أسست عام ١٤٥٠م. . كما قمنا بزيارة للمدينة

القديمة ومشاهدة المعالم التاريخية وشوارعها الضيقة . . ولم يبق للعرب والمسلمين فيها أثر يذكر رغم مكوثهم فيها فترة من الزمن وقد قام الفرنجة بمحو وهدم جامعها وبنوا مكانه الكنيسة الكبرى، فلم أجد من يرشدني إليه وقد يكون من ضمن الآثار التي محاها الأسبان وقد علمت فيها بعد أن أبواب قصر السرور موجودة في متحف مدريد ولقد قال فيه المقتدر بن هود:

قصر السرور ومجلس الذهب   بكما بلغت نهاية الأرب

وهي قصيدة طويلة:

وخرجنا في رحلة إلى الجبل الشهير (تابيد ابو) وقد أصبح غابة جميلة تكسوه أشجار الصنوبر وبه المطاعم والفنادق والمراكب الكهربائية وفوق الجبل يشاهد المرء المدينة والبحر والمتنزهات والمدرجات البديعة والقرى الشعبية التي تمثل الماضي والتراث الأسباني وحياتهم القديمة . . والواقع أن برشلونة لم يبق للعرب فيها من أثر يذكر لأن بقاءهم فيها لم يكن طويلاً، حيث أخذها منهم شارلمان ثم أخذها منه الأسبان.

ومضينا بعد ذلك إلى غرناطة وقرطبه وهما من أهم مراكز الحضارة العربية الإسلامية وقد أنجبت العلماء النوابغ وأئمة البيان والمعرفة.

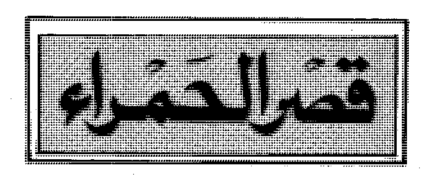
ومن الشمال توجهنا إلى الجنوب إلى الأندلس، ما أغرب التاريخ كيف أعادنا إلى الأطلال العربية الإسلامية الباقية اليوم والتي يتوجه إليها ملايين السياح.

نزلنا بها فاستوقفتنا محاسن   يحنَ إليها كلُّ قلب ويهواها
ولم يبق فيها للتذكر بقعة   يفرحُ فيها القلبُ إلا ذكرناها

رحم الله أسلافنا الميامين الذين كسروا شوكة الأسبان وفتحوا هذه المنطقة الخضراء من أوروبا ووسعوا حدود الدولة الإسلامية إلى القارة الثالثة من قارات العالم فرحم الله طريف وطارق ورجالهم وما امتازوا به من عزيمة ومغامرة وطموح لا تمحوها الأيام والليالي ورحم الله موسى بن نصير فقد كنت أردد قوله المعروف الذي وصف فيه الأندلس (شامية في طيبها وهوائها يمنية في اعتدالها واستوائها هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في جباياتها صينية في معادن جواهرها، عدنية في منافع سواحلها) إن الحديث عن الأندلس حديث مستطاب ذو شجون يستهوى الفؤاد ويأخذ بمجامع

القلب. . ولقد قال الشاعر:

وإذا ما هبت الريح صبا صِحْتُ واشوقى إلى الأندلس





أن وطىء العرب المسلمون ديار الأندلس نمت فيها الحضارة نموًا شاملاً وتقدم فيها العلم تقدمًا مرموقًا واستمر التطور في الحياة والعمران والعلم والأدب فازدهرت فيها الحياة ازدهارًا بارزًا.

وما زالت جذور تلك الحضارة العربية الإسلامية باقية تعبر عن مجدها العتيق وتاريخها المجيد حيث كانت مهد الحضارة والثقافة ومنار الإشعاع والسنا وما زال للحضارة العربية ومضات خلابة تتألق بالجمال والروعة تتمثل في قصر الحمراء في غرناطة وما زالت صروحه وأبهاؤه تتوهج بالضياء والإيحاء والذكريات والروعة والجمال والجلال والتأمل. . حقاً إنه لأحد المعالم وروائع الإبداع العربي الإسلامي ولقد رددت قول الشاعر حينما رنوت إليه:

شاهدته فوقفت مشدوه القوى مما يهز القلب في الإدراك
كان المحرك للورى في عصره ومولد الطاقات شأو قواك

ولقد كان أسلافنا ينشدون إبان قوتهم ومجدهم:

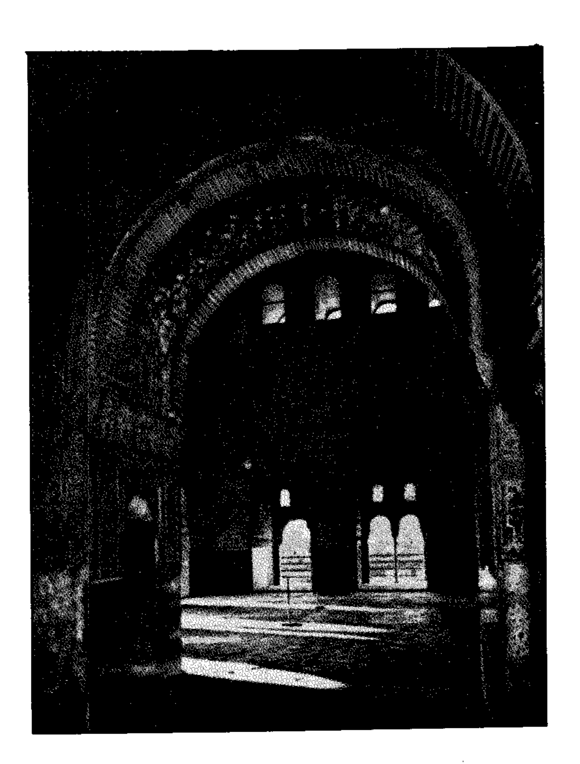
بلغنا السما مجدًا وجودًا وسؤددا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وحينما توجهت لزيارة قصر الحمراء شاهدت ازدحامًا شديدًا على أبوابه فقلت أمضى جزءًا من الوقت في التجوال حول القصر وفي وسط المدينة فسرت في شوارع كثيرة وكنت أنشد مع ابن هانىء الأندلسي:

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأشجار وأنهار

ما أكثر ما تغـني الشعراء بالأندلس فزخرت أشعارهم بالجمال والإجلال وما زال الأدب العربي حافلاً بتلك الأشعار التي تجسد بجلاء تلك الحياة التي تصف الأندلس وتتغنى به وتشدو بمباهجه ومفاتنه وتصف حياتهم التي كانت مفعمة بالبهجة والسرور في هذه الربوع وما خلفوه من تراث ضخم لا يزال بمثابة صور ناطقة حية بما كانوا يتميزون به من صفات كريمة وأخلاق فاضلة وخصال حميدة وسجايا نبيلةولا أريد أن أغرقك أيها القارىء الكريم معي في لجج من الذكريات فقد تؤلم القلب وتؤرق النفس ولكنه من وحي الإحساس الذاتي حينما يشاهد المرء ذلك المكان فيتمثل التاريخ أمامه بل وتلتقى الصور أمام ناظريه وهنا تذكرت قول القائل:

ما أغرب التاريخ كيف أعادني لحفيدة سمراء من أحفادي



● بهو السفراء في الحمراء بزخارفه البديعة ●

وبعد أن أمضيت ساعة في التجوال بين شوارعها وأماكنها القديمة ومشاهدة بعض البيوت والمعالم الأثرية استحضرت على الفور قول ابن خفاجة الأندلسي :

فإذا تردد في جنابك ناظـر طال اعتبار منك واستعبار
أرض تقاذفت النوى بقطينها وتمخضت بخرابها الأقـدار

ثم عدت بعد أن خف الازدحام على الدخول حيث كان السواح أفواجًا يأتون من كل مكان ويهبطون من الحافلات منتظمين في صف واحد . . ودخلنا القصر فأمضيت ساعـات لا أشعـر بالـوقت خلال ذلـك حيث يشـاهـد المـرء تاريخه وتراثه وأمجاده وحضارته . . وأدبه وآثاره :

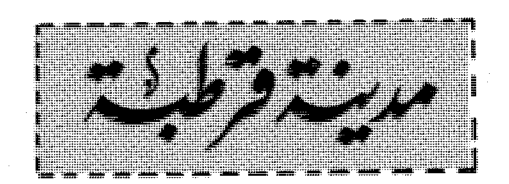
وإذا لم تدر ما قوم مضوا فاسأل الآثار واستنب الديارا

حقًا إنه لشيء عظيم أن يبقى تاريخ هؤلاء الأسلاف شامخًا خالدًا باقيًا على مر العصور.

وما زال المهندسون وعلماء الآثار وغيرهم يأتون من كل أرض ويقضون وقتًا طويلاً في البحث والتنقيب والدراسة والتأمل والتصوير ويتأبط الكثير منهم المراجع والمصادر والمعاجم بحيث يدقق ويبحث ويراجع فقلت إلى هذا الحد يهتم الأجانب بتاريخنا ويحرصون عليه والتفت يمنة ويسرة علِّي أجد أحدًا من بني قومي يهتم بما يهتم به أولئك الذين يحملون كتبهم وأقلامهم فيدونون المذكرات عن هذا القصر وتاريخه.

وقصر الحمراء قصر شامخ يقع على ربوة مرتفعة بحيث يطل على مدينة غرناطة يزدان ببوابة فخمة يدلف المرء منها إلى غرب القصر وممراته وحدائقه الفخمة وقاعات الاستقبال ومجالس الخلفاء وغير ذلك من المنشآت وقد سمي الحمراء نسبة إلى أصحابه من بني الأحمر وقيل لأنه بنى على جبل يتميز بتربة حمراء . . وينسب بناؤه إلى الأمير أبي الحجاج يوسف بن الأحمر ويتميز القصر بدقة البناء ومهارة الإبداع الفني فهو بحق يثير الإعجاب والدهشة وما زالت الكتابات العربية باقية حتى الآن مثل **«لا غالب إلا الله»** وغير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة والحكم الدينية والأبيات الشعرية . . ولا شك أن الاهتمام من جانب أسبانيا في المحافظة على هذه الآثار وصيانتها وعدم إهمالها عمل مشكور.

وبعد أن جُلْتُ في القصر وحدائقه وقصبته وجنة العريف التي كانت من أعظم حدائق الدنيا في ذلك الزمان حيث تطل أبهاؤها على منظر المدينة ومروجها خرجت مغموراً بالسرور بتلك الساعات التي أمضيتها وسعدت فيها واستمتعت حقًا بمشاهدة المجد العربي الإسلامي وستبقى تلك الذكريات في نفسي فأسعد أوقات المرء ذكرياته الجميلة.



ودعنا غرناطة ونحن نحمل أجمل الذكريات قاصدين مدينة قرطبة. . وقبل مغادرتنا مدينة غرناطة آخر ما كان يحتفظ به العرب ابان حكمهم والتي سقطت عام ٨٩٧هـ عرجنا على متحفها الأثري لزيارته والإطلاع على ما يحتويه من آثار ولوحات وقطع، ومن ثم توجهنا إلى مدينة (قرطبة) قاعدة الحضارة الإسلامية الزاهرة ومركز العلم والمعرفة إذ ذاك.

وفي الطريق شاهدنا عشرات القرى التي ذكرتنا بماضيها وذلك بما كنا نلمحه من آثار عربية وأطلال دارسة مما يوحي بمجد قديم وقد مررنا في الطريق بعشرات المزارع والمناظر الخضراء الجميلة من كروم وزيتون وبينما نحن نتأمل هذه المناظر بدت لنا معالم قرطبة وبعد وصولنا ذهبنا للبحث عن الفندق. . وبعد استراحة قصيرة خرجنا نطوف في شوارعها وكم لهذه المدينة العريقة في نفوسنا من ذكريات تاريخية رائعة فقد كانت من أعظم المدن الأندلسية وأجملها وكانت حافلة بالمعاهد ودور العلم ومقصد العلماء والشعراء والأدباء.

ومدينة قرطبة أصبحت حاليًا مدينة أوربية ذات شوارع أنيقة وتمتلىء بالمباني الحديثة إلى جانب الأحياء القديمة ذات الدروب الضيقة وهي المجاورة للمسجد الجامع. .

ولعل من أهم آثارها (جامع قرطبة الشهير) وذهبنا لزيارته وسط ممرات ضيقة ووصلنا (الجامع) الذي عاصر الأيام الذهبية والسنين الزاهرة وبعد وصولي الجامع أحسست بشيء من الأسى والكآبة وخاصة حينما سرح بي الخيال وتأملت تاريخ هذا الجامع العظيم يوم كان ملتقى العلماء ووجدت آثار الإهمال وتحويله إلى كنائس حاليًا . . وحينما اجتزنا إلى داخل الجامع بهرنا ما يحويه من روعة البناء وعظيم التصميم ودقة الزخرفة - وتاريخ هذا الجامع يعود إلى عام ١٧٠هـ حينما قام بإنشائه عبد الرحمن الداخل الأموي وقد أراد عبد الرحمن الداخل أن يكون هذا الجامع من أروع جوامع الأندلس وقد توفي قبل أن يكمله فأتمه ابنه هشام ثم قام الخلفاء من بعدهما بتوسعته وإدخال مزيد من الإضافات عليه ويقول الأستاذ محمد عبد الله عنان في وصفه لهذا الجامع (يشغل مسجد قرطبة مسطحًا كبيراً يبلغ طوله مائة وثمانين مترًا وعرضه مائه وخمسة وثلاثين مترًا وهو أندلسي الطراز والمظهر بمعالمه وأوضاعه ونوافيره وأشجاره).



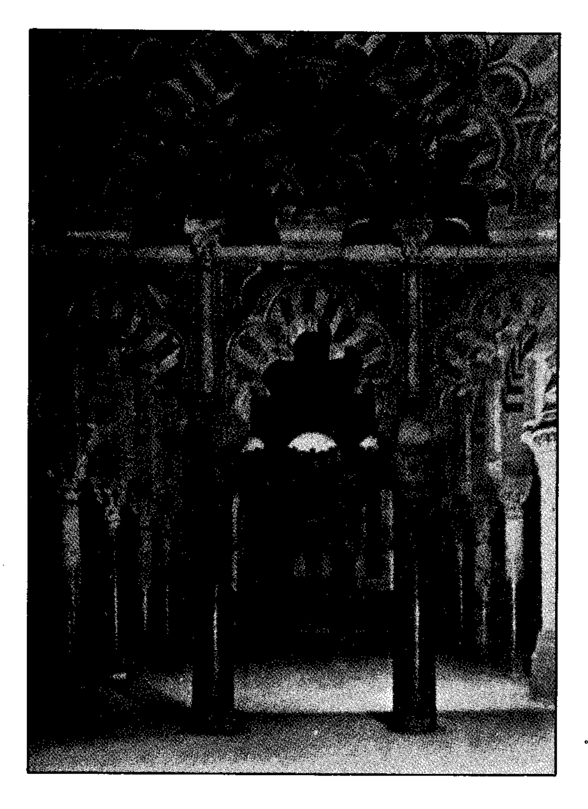
● منظر جوي لمدينة قرطبة ومسجدها الجامع ومئذنته وحديقته ●

وللمسجد من قبل تسعة عشر بابا فخمة وقد زين بزخارف عربية جميلة وتبدو روعة هذا الأثر الإسلامي العظيم للداخل من أول نظرة ويحار البصر في تأمل عقوده وأعمدته العديدة المتقاطعة التي لا تدرك العين نهايتها وتبلغ عقوده في الطول تسعة

وعشرين ويبلغ ارتفاع سقفه نحو اثنى عشر متراً ولأول وهلة يشعر المتأمل أنه في قلب مسجد إسلامي ولكنه متى دقق البصر قليلاً أدرك في الحال أن المسجد قد استحال إلى كنيسة بل إلى كنائس فقد عدلت أسقفه على الطراز الكنسى وأزيلت القباب القديمة ما عدا القبة الرئيسية الوسطى وحلت على قبابه نقوش نصرانية. . وأنشئت على طول جوانب الجامع الأربعة من الداخل هياكل لا نهاية لها ونصبت فوقها الصلبان وتماثيل القديسين وصورهم ولم يترك من جوانبه سوى المحرابين وأحدهما قديم مخرب، وأزيلت جميع الزخارف الإسلامية القديمة ورسمت صور القديسين بين الزخارف. . وترجع قصة تشويه مسجد قرطبة الجامع على هذا النحو المؤلم إلى أوائل القرن السادس عشر ذلك أنه لما سقطت قرطبة في يد النصارى ودخلها فاتحها ملك قشتالة أقيم في الجامع قداس شكر واستمر الملوك الأسبان في إدخال تغييرات جزئية في أوضاع الجامع، وقد كان إقامة الهيكل الكبير في وسط الجامع مثار نقد شديد من العلماء الأثريين الغربيين من أسبان وغيرهم، وقد وصفه بعضهم بأنه أشنع عمل همجي ارتكب لتشويهه، وفي عام ١٩٥٣م أزيلت منارة الجامع القديمة وأقيم فوق أنقاضها برج الأجراس الحالي ولقد حمل العلماء الأثريون وفي مقدمتهم العلماء الأسبان على هذا التشويه لأثر من أجل الآثار الإسلامية ووصفه بعضهم بأنه تدنيس للفن.

ويصف الوزير المغربي محمد بن عبد الوهاب الغساني خلال زيارته لقرطبه عام ١١٠٢هـ هذا الجامع قائلاً:

«هو مسجد كبير جداً في غاية الإتقان وحسن البناء وبداخله ألف وثلاثمائة وستون سارية كلها من الرخام الأبيض بين كل سارية قوس فوق قوس آخر. . وله من الأبواب الآن أربعة عشر بابًا وقد سد كثير من الأبواب وغيرها، ومحرابه الإسلامي باق على حاله لم يتغير إلا أنهم جعلوا عليه شباكًا من نحاس وطرحوا أمامه صليبًا فلم يدخل عليه أحد إلا قبَل ذلك الصليب، ولم يزد بداخله ولا بحائطه شيء. . ولهذا المسجد صحن كبير جدًا مشتمل على خصة ماء في وسطه ويدور بها في سائر الصحن من أشجار النارنج مائة وسبع عشرة شجرة. . ويقابل موضع المحراب إلا أنه ليس بغاية الإرتفاع كمنارة طليطلة وأشبيليه. . إلى أن يقول: إن هذا المسجد من أكبر مساجد الدنيا وأعظمها صيتاً».



● محراب مسجد قرطبة الجامع الذي بناه الحاكم المستنصر بالله ●

وبعد أن أمضينا وقتًا طويلاً في جامع قرطبة وشاهدنا ما فيه من روعة وعظمة خرجنا لزيارة القصر المجاور له وهو قصر ضخم بنى على الطراز العربي الأندلسي كان مقرًا للخلافة واتجهنا للدخول من مدخله الرئيسي ولا يزال بابه الضخم الكبير محتفظًا بقدمه وطابعه الشرقي، وعند مدخل الباب يوجد حارس ومرشدون، وبعد قطع تذكرة الدخول دلفنا إلى ساحة القصر وتجولنا في غرفه وقاعاته التي تبعث رؤيتها على شيء من الحزن والكآبة.. فكم شهدت من أيام زاهرة وسيادة وعظمة ومجد.. وشاهدنا في داخل القاعات ومجالس السفراء والأروقة بعض النقوش العربية إلى جانب التحف التي كان يحتفظ بها الخلفاء.. وفي جانب من القصر توجد حديقة ضخمة كبرى تزينها البرك الواسعة والأشجار المتعددة والخمائل الجميلة.

ولا تزال المياه جارية بين جنباتها وصدفة التقينا بسائح عربي فقام يحدثنا عن القصر وعن مياهه فروى على حد تعبيره قائلاً: بأن هذه المياه التي تجرى هنا لا تزال على مجراها الطبيعي يوم بنى هذا القصر وأنه حتى الآن لم تعرف مصادر المياه وأن المهندسين الأسبان يعترفون بالمهارة للمهندسين العرب القدامى الذين قاموا بجلب هذه المياه واستمرارها إلى اليوم ـ وهو أمر يدعو إلى الفخر والاعتزاز. . وبداخل الحديقة توجد أشجار البرتقال بوفرة ووجدنا عشرات السائحين يلتقطون الصور ويستمتعون بجو حديقة القصر الساحرة ونسماتها العليلة.

ومن ثم ذهبنا لمشاهدة القنطرة المجاورة للمسجد الجامع وهي كما يقال بناها الرومان وقام يتحسينها وتجديد بنائها حكام الأندلس المسلمون. . وقمنا بعد ذلك بجولة سريعة في داخل قرطبة لمشاهدة الأحياء القديمة التي لا تزال محتفظة بالطابع الأندلسي ورؤية بعض المساجد التي حولت إلى كنائس ولكم تذكرت بهذه المناسبة قول أبي البقاء الرندي حين بكى هذه المواطن ورثى هذه الربوع بمرثيته الشهيرة التي كنا نحفظها قديمًا:

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية ... وأين شاطبة أم أين جيان
وأيـن قرطبة دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شأن
وأين حمص وما تحويه من نزه ... فنهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان العلوم فما ... عسى البقاء إذا لم تبق أركان
يارب طفل وأم حيل بينهما ... كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت ... كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة ... والعين باكية والقلب حيران. . الخ

أما مدينة الزهراء ذات المجد والصيت الواسع التي قام بإنشائها الخليفة عبد الرحمن الناصر فقد محيت ولم يبق لها إلا بعض أطلال دارسة وقد كنا نقرأ عنها في التاريخ أنها من أروع المدن وأزهاها وأنه أنفقت الأموال في تشييدها واستمر بناؤها ما يقرب من أربعين عامًا ونيفا وأنه جلب لها من الأثاث وأدوات الزينة ما يبهر العقل. وسمعت وأنا في قرطبة أن هناك حفريات للبحث عن آثار هذه المدينة ومعالمها التي ابتلعها الدهر وغمرها النسيان. ومما قاله:ابن زيدون يشيد بالزهراء.

خليلي لا فطر يسر ولا أضحى فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى
لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل أخص بمخصوص الهوى ذلك السفحا
معاهد لذات وأوطان صبوة أجلت المعاني في الأماني بها قدحا
ألا هل إلى الزهراء أوبة نازح تقضت معانيها مدامعه نزحا
مقاصير ملك أشرقت جنباتها فخلنا العشاء الجون أثناءها صبحا
يمثل قرطيها لي الوهم جهرة فقبتها فالكوكب الرحب فالسطحا
محل ارتياح يذكر الخلد طيبه إذا عز أن يصدى الفتى فيه أو يضحا
هناك الحمام الزرق تندى حفافها ظلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا
تعوضت من شدو القيان خلالها صدى فلوات قد أطار الكرى صبحا

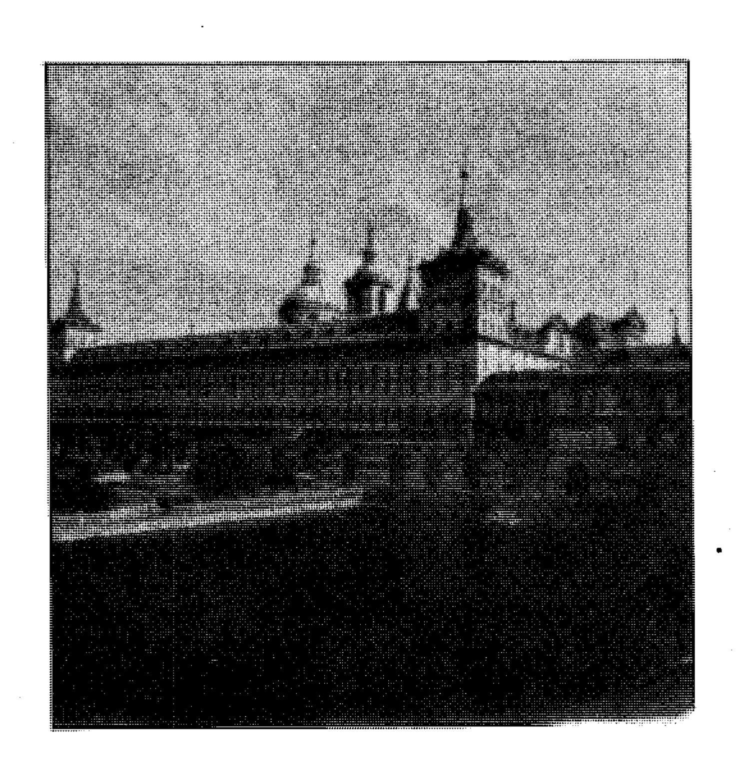
ولقد رثى الشيخ محي الدين بن عربي الزهراء بأبيات قيل أنه قرأها على بعض جدران الزهراء بعد خرابها وهي:

ديار بأكناف الملاعب تلمع وما أن بها من ساكن وهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب فيصمت أحياناً وحيناً يرجع
فخاطبت منها طائراً متغرداً له شجن في القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكى فقال على دهر مضى ليس يرجع

وفي المساء ذهبنا لزيارة بعض الحدائق والمتنزهات الحديثة ورؤية ما تبقى من السور القديم لقرطبة والتجوال في أهم شوارعها الرئيسية الكبرى ومتاجرها الفخمة وميادينها الأنيقة وسمعت من بعض الأخوان العرب الذين التقيت بهم في قرطبة أنه توجد شوارع صغيرة الحجم تحمل أسماء إسلامية.

وبعد انتهاء زيارتنا لقرطبة قلب الأندلس والتي قيل قديمًا في وصفها: «قرارة أولي الفضل والتقى.. ووطن أولي العلم والنهى.. وقلب الإقليم وينبوع متفجر العلوم.. وبستان وقبة الإسلام.. وحضرة الأيام.. ودار صواب العقول.. وبستان ثمر الخواطر.. وبحر درر القرائح.. ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام البصر.. وفرسان النظم.. والنشر.. وبها أنشئت التألقات الرائعة وصنفت التصنيفات الفائقة.. إلخ.

وودعنـاها بعد أن أمضينا في ربوعها وقتاً حافلاً بالمتعة الفكرية والعلمية ومليئاً بالفائدة التاريخية.



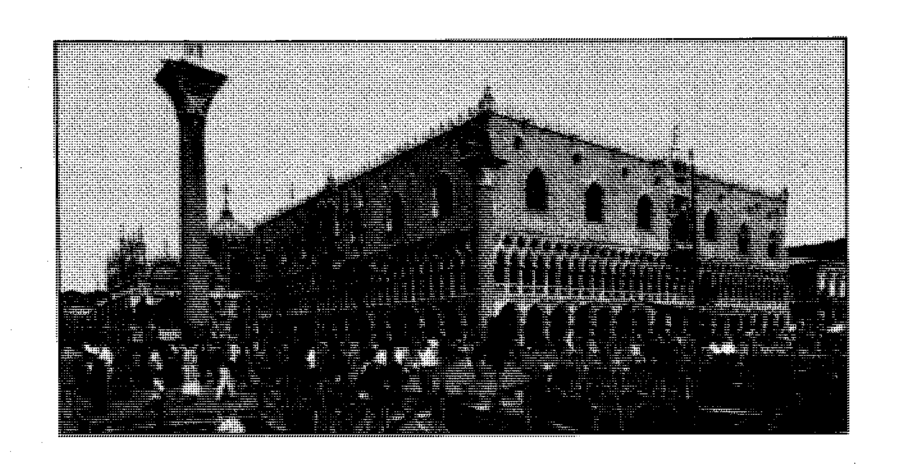
● واجهة قصر الاسكوريال شمال مدريد ●





في صبـاح يوم هادىء من يوم ٣/ ١٢/ ١٤٠٦هـ مضينـا إلى سيارتنا حيث انطلقت بنا نحو الحدود الإيطالية ـ النمساوية ولم نقف سوى بضع دقائق ثم دخلنا النمسا ومضى الخيال يمتد في هذا البساط الأخضر والشجر والغابات والعمران ومررنا بعدة قرى وأرياف توحي بالشعر والجمال والخيال وتاريخ الإمبراطورية النمساوية التي كان لها ذكر وشأن وتاريخ. . والنمسا اليوم ذات مساحة صغيرة إذ تقدر مساحتها بـ ٣٢٣٧٥ ميلاً مربعًا وسكانها ثمانية ملايين نسمة وعاصمتها ڤينا وبها أكبر تجمع سكاني ولغتها الألمانية.

ولقد أصبحت في العصر الحاضر مقصدًا للسياحة حيث جذبت إليها أعدادًا كبيرة من السـائحـين الـذين يتـوافـدون عليهـا تشـدهـم إليها مناظرها الجميلة ومعالمها السياحية. . وجبـالهـا الشاهقة نظرًا لوقوع الجزء الأكبر من النمسا في منطقة جبال الألب الشرقية ولذا تعتبر واحدة من أكبر بلاد أوروبا ذات الطبيعة الجبلية إذ تمتد جبال الألب النمساوية عبر البلاد من الغرب إلى الشرق في أكثر من سلسلة ولقد كنا نرنو إلى تلك الجبال الرائعة البديعة المكسوة بالخضرة والفتنة والجمال وكنا محظوظين كثيراً كـ
قالـوا لنا حيث كانت الشمس مشرقة وساطعة. . وبعد سير استمر أكثر من ثلاث
ساعات حيث كنا نشاهد الجبال والبحيرات والغابات توقفنا في إحدى القرى بعد أ



● أحد القصور النمساوية القديمة في ڤينا ●

قطعنا مسافة كبيرة في داخل البلاد وبعد استراحة نصف ساعة شددنا الرحال نعبر الدروب ونمر بالقرى والبلدان ولا يكاد المرء يفرق بين قرية وأخرى وكنا نشاهد أصنافاً شتى من معالم الحياة ومظاهرها وبعد أن قطعنا خمس ساعات لاحت لنا العاصمة فيينا . .

وهي مدينة جميلة تجمع بين القديم والحديث وتحتفظ بالكثير من الخصائص العالمية ولها تاريخ حافل طويل في التراث والأدب والمسرح والموسيقى وغير ذلك من الفنون . . ولقد أسست أول جامعة بها عام ١٣٦٥م ويقول المرشد السياحي إنها أقدم جامعة في البلاد التي تتكلم الألمانية وأن هناك مدارس ذات تاريخ عريق وقد أسست في عام ١١٥٥م ومازالت قائمة في ڤيـــنا حتى اليوم .

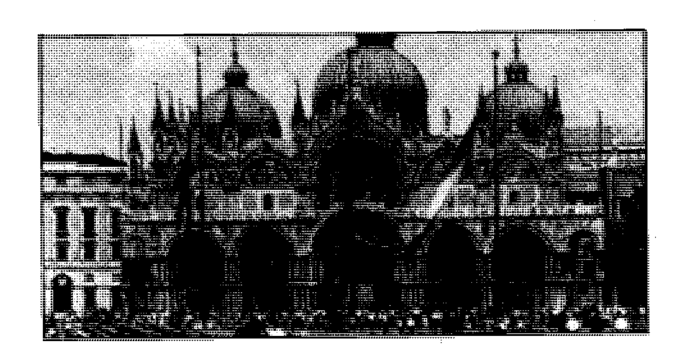
إن وضع النمسا الجغرافي المتميز جعل منها أرض التقاء بين أوروبا الغربية والشرقية كما أن حدودها البرية ممتدة مع سبعة أقطار مما يدل على أهمية مركزها ووضعها الجغرافي في قلب أوروبا . . لقد استمتعنا خلال سيرنا الطويل بمشاهدة نهر الدانوب الذي يجري على مسافات طويلة وله روافد شتى . .

وعند وصولنا العاصمة نزلنا في فندق «بارك اوتيل» وسط المدينة وهو فندق ضخم واسع كان في السابق قصرا لضيافة الامبراطورية .

ولقد كنت في حاجة إلى الراحة والنوم ولكني لم أستطع أن أقاوم الرغبة في استجلاء معالم المدينة وشوارعها وميادينها التي يبدو عليها الثراء والتنظيم كما أن المحلات التجارية مليئة بالسلع والكماليات ولكنها غالية . . ثم عدت إلى الفندق حيث أخلدت للراحة والنوم . . وفي الصباح ذهبنا في جولة سياحية مع عدد من السواح نتجول في العاصمة ومشاهدة معالم التطور بها وزيارة متحف الفنون الجميلة ومتحف التاريخ الطبيعي . . وقصر البرلمان ومسرح برج جامعة فيينا . . وقصر شونبرون الداخلي وهو قصر رائع جميل وقد كان المقر الصيفي لامبراطور النمسا كما قمنا بزيارة لقصر بلفيدر وهو يعتبر تحفة فنية رائعة يمتاز بالزخرفة الدقيقة ثم عدنا إلى الفندق لتناول طعام الغداء والاستراحة . . وفي المساء قمنا بجولة على حدائق ڤينا الجميلة ثم تناولنا طعام العشاء في أحد المطاعم النمساوية التقليدية للتعرف على الأطعمة النمساوية والأكلات الشعبية . . والفنون التقليدية .

وفي صباح الغد توجهنا لبعض الضواحي وغابات ڤينا والاستمتاع بمشاهدة بحيرة «سيجرون» ذات المياه النقية الصافية الواقعة تحت سطح الأرض والقيام بجولة بالقارب في تلك البحيرة ومشاهدة المناظر الجميلة التي امتدت ملء البصر في لوحة جميلة . . كان منظرا أخاذا جميلاً ثم عدت أدراجي إلى المدينة متأملاً مناظر الطبيعة والجمال والأشجار التي نسقت على اليمين والشمال حتى وصلنا العاصمة وعدنا إلى الفندق بعد نزهة يوم جميل وذلك للاستعداد لرحلة إلى مدينة «سالزبرج» وفي صباح اليوم الرابع غادرنا العاصمة فيينا إلى مدينة «سالزبرج» وأمضينا سحابة النهار في سير متواصل وتوقفنا أكثر من مرة عند الاستراحات التي تزخر بالناس وتمتلىء بالرواد من شتى الأجناس وبها المطاعم والفنادق ومخازن لبيع ما يحتاج إليه .

ومررنا بعشرات القرى وقد كان سيرنا بمحاذاة نهر الدانوب الأزرق الجميل وكنا نشاهد الجبال الشامخة المكسوة بالخضرة وكذا القلاع الأثرية حتى وصلنا إلى المدينة الساعة الرابعة عصرًا وتوجهنا صوب فندق «اورسبيرج» وهو قصر حُوِّل إلى فندق إذ يحتفظ بالفن والأصالة والتقاليد النمساوية العريقة وذهبنا بعد ذلك لزيارة المدينة والاطلاع على أهم معالمها التي أمكن رؤيتها وتمتاز بيوتها بدقة الزخرفة والفن وقمنا بزيارة لقلعة المدينة التي يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر الميلادي وشاهدنا المنزل



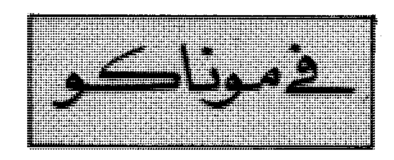
● أحد المعالم التاريخية في النمسا ●

الذي ولد فيه الموسيقي الشهير «موزارت» كما قمنا بجولة في المدينة القديمة ومشاهدة قديمها وحديثها وقصورها وميادينها ونوافيرها التي تتدفق بالمياه في منظر رائع خلاب . . وبعد جولة استمتعنا خلالها بالمشي على الأقدام في طرقات المدينة الضيقة والتي توحي للزائر أنه يعيش في القرون القديمة قلت لصحبي فلنخرج سريعًا من جوف هذه الأحياء المخيفة.

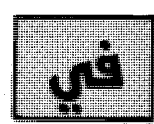
ولنتركها لهؤلاء السياح المولعين بحب كل قديم حتى لو كان في قمة جبال الألب وعدنا للفندق ولم يكن بد من النوم وفعلاً أمضينا ليلة هادئة مطمئنة حتى صحوت من الفجر وكنت أرقبه من النافذة لمشاهدة مولد يوم جديد رائع وقد تنفس الصبح فيه وأشرقت الشمس . . وودعنا هذه المدينة وقد ارتفعت شمس الضحى وسلكنا طريقًا جميلاً تشدك إليه مناظر البحيرات والخضرة الممتدة والغابات السامقة ومشاهدة المناطق الزراعية بين جبال الألب وسهول النمسا الواسعة والأراضي المحروثة للزراعة والبساتين والكروم وبيوت الفلاحين ذات الخشب فهم يستخدمون الخشب كمادة تقليدية في المباني لكثرة الغابات ثم وصلنا إلى الحدود النمساوية الألمانية وكانت المعاملة في منتهى السرعة واللطف وواصلنا السير حتى وصلنا إلى مدينة «قوقن» الألمانية . . مرددًا قول الشاعر:

نزلنا ها هنا ثم ارتحلنا فدنيانا نزول وارتحال

فالحياة هكذا شأنها لقاء ففراق وفراق فلقاء وسبحان من له الدوام.



في موناكو



الساعة السادسة من صباح يـوم ٧/ ١٢/ ١٤٠٦هـ . . غادرنا برشلونة متوجهين لزيارة الجنوب الفرنسي بواسطة السيارة وفي الساعة الثالثة ظهراً كان الوصول إلى كان ثم إلى نيـــس . .

نيس بها حسن المناظر والرؤى وبها الشواطىء مرتع السواح

وفي اليوم التالي غادرنا نيس متوجهين نحو موناكو . وخلال الطريق السريع بين الجبال الشاهقة قمنا بزيارة «اير» التي تقع على منطقة صخرية مرتفعة وبها قلعة أثرية وسـوق شعبي صغـير ثم واصلنا السير إلى موناكو وهي إمارة صغيرة تقع بين نيس ومانتون على ساحل جبال الألب وكان الخط الموصل بين نيس وموناكوا أخاذاً جميلا رغم ما فيه من إنحناءات وصعود وهبوط وهي في حجمها وفي عدد سكانها صغيرة . . ووصلنا «مونت كارلو» . . وهي مدينة تموج حركة ونشاطًا وسكانها قرابة ثلاثين ألفًا حسبما أحاطنا به علما الدليل السياحي وتستند شهرتها على مالها من قوة جذب سياحية حيث تنظم بها السباقات الدولية والمباريات الرياضية والمتحف الموجود بها وحديقتها الجميلة والنـادي الشهـير والأنشـطة الاقتصادية المتنوعة وكما أنها مقر لمجموعة من الشركات الكبرى . . ولقد ركزت على الاهتمام بالسياحة واجتذاب أعداد كبيرة من السـواح وأصبحت عنـوانـا للحياة الاجتماعية الراقية . . ولرجال المال الذين تمتلىء بهم . . واللغة الرسمية هي الفرنسية .

ونظرًا لضيق رقعتها . . فقد عملوا على إصلاح الأراضى المأخوذة من البحر بعد ردمها وإصلاحها مما زاد مساحتها .

وبعـد جولة استطلاعية في أهم معالم المدينة التي أمكن رؤيتها ومشاهدة التلال

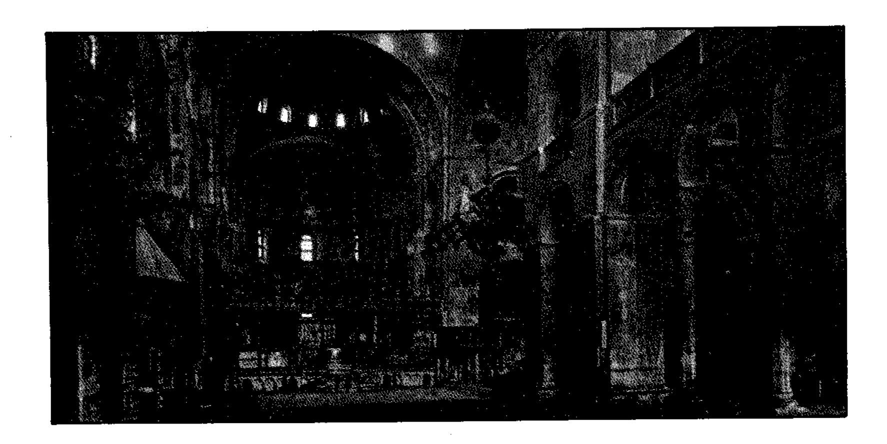
والسهـول والجبال والغابات التي تلوح شامخة غادرناها عائدين إلى نيس عن طريق الكورنيش الساحلي الجميل ومشاهدة مدينة نيس ومصايفها الجميلة وتلالها المكسوة بالنبـاتـات المختلفة والألوان والتي تمتلىء بالمصطافين من جميع أنحاء العالم . . ومن مختلف أرجاء البلدان وقمنا بزيارة مدينة «كان» وتمتاز بنشاطها البديع ومبانيها الجميلة في سفوح التلال وفي أعاليها وهوائها البارد وزهورها الجميلة مما يذكر بقول القائل:

فهنا الزهور موائل وعواطف ومناظـر ومفاتن للرائـي

كما قمنا بزيارة لقرية «سان بول» ومررنا خلال طرقات جبلية ضيقة بمجموعة من القرى والمصايف كما زرنا مصنع «كاندي» وتجولنا في أنحاء المصنع . .

ثم قمنا بجولة في مصنع العطور في جوردن وجراس ومشاهدة كيفية تحضير العطور وتعبئتهـا والأدوار التي تمر بها واشترينا مجموعة من الهدايا . . من إنتاج هذا المصنع واندفع الكثير من الأخوة في شراء عطور هذا المصنع بحجة أنها جيدة ورخيصة ثم تبين لنا بعد ذلك أنها غالية الثمن . . وكم وقعنا في مثل ذلك في مصنع الساعات في سويسرا وتبين أنها في بلادنا أرخص بكثير مما اشتريناه وكثيراً ما يندفع المرء وينسى تجاربه السابقة . . كما قال الشاعر:

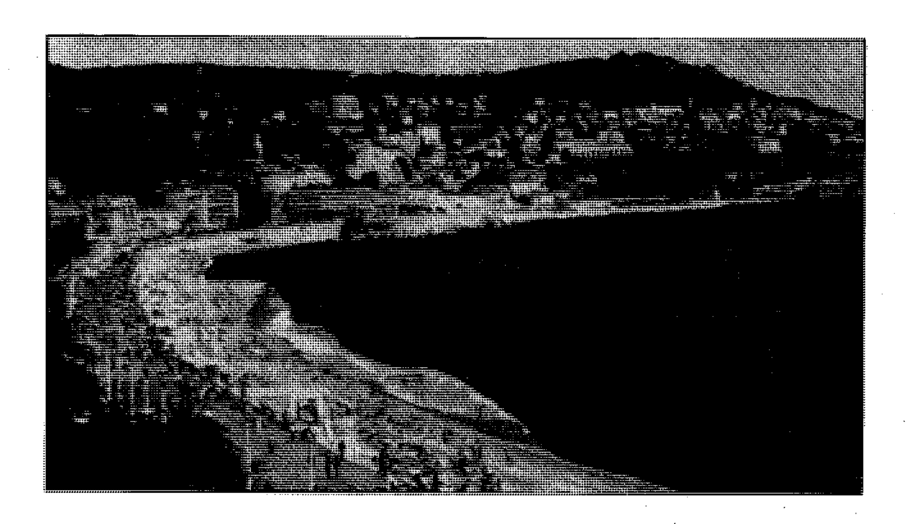
وقد يخطىء الرأي أمرؤ وهو حازم كما اختل في نظم القريض عبيد



● منظر في موناكو ●

وفي نيس قمنا بزيارة إلى (كاجن سبرميل) المعروفة والمشهورة بسباق الخيل وأمضينا وقتاً في التجوال والتعرف على معالمها رغم غزارة المطر وإن كان الناس في هذه الديار قد اعتادوا هطول المطر في كثير من أيام السنة ولذا نراهم غادين رائحين ويمارسون هواياتهم . . غير متـأثـرين بهطول الأمطار أو جريان السيول في الحدائق والشوارع والأسواق ثم عدنا بعد ذلك صوب «نيس» وكان مقامنا في فندق «بلازا» في قلب المدينة وقريبًا من شواطىء الريفيرا الفرنسية وبعد أن أمضينا وقتًا في تلك الربوع وزيارة أهم المعالم التي أمكن رؤيتها وكذا المركز الإسلامي وهو المعلم والمنار في تلك الربوع إذ عليه مسئولية مهمة الإشعاع الإسلامي ونشر رسالة الإسلام في هذه البلاد التي هي على درجة من الحضارة ولكنها مليئة بالسيئات والإنحطاط الأخلاقي . . ثم غادرناها مرددًا قول القائل:

ما آب من سفر إلا وأرقه	شوق إلى سفر بالبين يجمعه
كأنه وهو في حل ومرتحل	موكل بقضاء الله يذرعه



● منظر لأحد شواطىء نيس الفرنسية ●



صدر للمؤلف


عبدالله حمد الحقيل
رحلات و ذكريات
مطبوعات
PUBLICATIONS
الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية



وفي وقت مبكر من صباح يوم الثلاثاء ١٧/ ١١/ ١٤٠٦هـ مابين طلوع الفجر وشروق الشمس ركبنا السيارة متوجهين بطريق البر إلى هولندا. . وقد كانت السماء ملبدة بالغيوم والمطر ورغم أننا في شهر يوليو. . وفي جو جميل ندي كان السير في الطريق ممتعاً وجذاباً. . فرغم مئات الأميال التي قطعناها في ألمانيا لم نشعر بالتعب ووصلنا الحدود الألمانية الهولندية. . وقد كنت أستعرض في ذاكرتي هذه الأرض وتاريخها وما تعرضت له من دمار في الحرب العالمية وما نشأ من حروب بين هولندا وألمانيا. . واحتلال ألمانيا لبلادهم. . ودخلنا هولندا ولم يستغرق وقوفنا في الحدود سوى بضع دقائق حيث كانت المعاملة في منتهى السهولة. . ثم توقفنا في إحدى القرى الهولندية للراحة واستبدال النقود. . حيث كان معنا المارك الألماني والفرنك السويسري. . فاستبدلتهما بـ «لقولدر الهولندي» ثم واصلنا السير. . حيث شاهدنا الحقول الغناء والمزارع الخضراء الفسيحة المليئة بالأبقار ولا غرو. . فنحن في بلد الأبقار والأجبان والزهور وطواحين الهواء والأنهار وتبلغ مساحة هولندا (١٥٧٠٠) ميل مربع وسكانها ١٤ مليون نسمة ولغتها الهولندية. . كما أن هناك لغة أخرى تسمى الفريزية ينطق بها أهل الشمال. . كما أن اللغة الألمانية يجيدها عدد

كبـير وكذا الانجليزية في الفنادق والمطاعم والمتاجر وبالطبع فالديانة هي المسيحية، جزء كبير منهم بر وستانت وآخر ون كاثوليك ويوجد بها عدد كبير من اليهود.

وهولندا تقع في الشمال الغربي لأروبا وهي أكبر دولة في العالم لتصدير الزهور. ولذا كنا نشاهدها في الحقول والبساتين.. وقد حكى لنا المرشد السياحي أن عدد الزهور التي تبـاع فيهـا تصل إلى أكثر من خمسة عشر مليون وتصدر لمختلف أنحاء العالم وتنتجهـا مزارع متخصصـة لهذا النـوع.. كما شاهـدنا طواحين الحبوب وعصرها ويهتمون بها كجزء من تراثهم وهي تعتمد في حركتها على قوة التيارات الهوائية.. حقًا إن الريف الهولندي هو بمثابة حديقة غناء.. حيث الزهور المتنوعة والألوان وتتفتح هذه الـزهـور وتزدان في بيوت محمية وفي مركز الزهور الذي تباع فيه بشتى ألوانها المختلفة.. ويبدأ موسم الزهور لديهم في فبراير وينتهي في سبتمبر من كل عام.

كما أن عدد الأبقار بها تصل إلى ٦ مليون بقرة ويصل الإنتاج إلى ثلاثة عشر مليون طن من الحليب والزبد والجبن.. فتربية الماشية هي النشاط الزراعي الرئيسي.. ولذا حرصوا على زيادة رقعة بلادهم من المياه المحيطة بهم واكتساب الأرض من البحر واستصلاح أول سهل من قاع البحر عام ١١٥٠م بواسطة حواجز أقيمت للاحاطة بمساحة من الماء ومن ثم تجفيفها، ومنذ ذلك الحين وهولندا في توسع مستمر.

وبعـد فترة من السير الطويل وسط الريف الخلاب لم يخالطنا فيها السأم والملل لاحت لنا العاصمة «أمستردام» حافلة بالمناظر الجميلة ومواكب الدراجات والسيارات والقطارات تملأ الشوارع والميادين وكان دخولنا المدينة ظهرًا حيث صادف انصراف العاملين من مكاتبهم ومصانعهم ومتاجرهم حيث يشاهد المرء مالا يحصى أفواجًا من البشر وشاهدنا البحيرات والجداول المائية وسط المدينة.. ولذا كانوا يسمونها مدينة الماس وبندقية الشمال ووصلنا الفندق وهو يقع في قلب المدينة التي تجمع بين القديم والحديث..

وفي فندق «نوفوت» كان مقامنا حيث أخذنا قسطًا من الراحة، خرجنا بعد ذلك إلى المـدينـة نتعـرف على معـالمهـا ونتمشى في طرقاتها ونشاهد المنتزهات والحدائق والجداول المائية، ومن الصدف أن نلتقي بشاب عربي عرفت أنه جزائري من لهجته

وحددت له البلدة التي ينتمي إليها من لهجته فقال وما يدريك فقلت لقد عشت في بلادكم عامين مدرسًا وأتقنت لهجة أهل وهران حتى كان الأخوة في العاصمة عندما أذهب إليها يسألونني عنها وكأني واحد من أبنائها، ثم عرفنا بنفسه وقال لقد سبق أن درست في المملكة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وجئت إلى هنا للدراسات العليا. ومضينا معه يعرفنا بالمدينة ويشرح لنا أسماء الشوارع والميادين ويعرفنا بالعادات والتقاليد وكنت متابعًا لحديثه فكنت أسأله عن بعض ما يصادفنا من مبان شاهقة ويشرح لنا أن هذا المبنى مكتبة وذاك كلية وهذا مستشفى الخ. . وسألته عن هولندا وتاريخها والهجرات التاريخية لها وسكانها وكان المطر يتساقط رذاذًا ولا غرو فالمطر كما أفاد الأخ يسقط طوال العام وقال أن الجو الجميل لا يتجاوز شهرين وما عدا ذلك فالشتاء بارد جدًا وتتساقط الثلوج وتتجمد هذه القنوات المائية التي نشاهدها الآن كما تهب العواصف الشديدة. . فقلت الحمد لله على مناخ بلادنا وما تمتاز به من دفء وجو جميل. . ثم قمنا بجولة في المدينة القديمة وفي المساء قمنا برحلة نهرية في قناة أمستردام وهي فرع من فروع نهر الراين للنزهة والاستجمام ومشاهدة العاصمة ومعالمها ثم امتد بنا السير بعد ذلك في قنواتها وكان قائد الباخرة يشرح لنا ذكريات التاريخ في هولندا إذ التقاليد في هولندا تحتل مكانًا رفيعًا وهي أساس الفنون الشعبية وطريقة الحياة بصفة خاصة غنية بالتقاليد ومازالت تزاول بنشاط كالحرف القديمة والأسواق الشعبية والتي يأتي السواح لمشاهدتها والمباني التاريخية وبها أكبر مزاد للزهور في العالم.

وفي اليوم التالي ذهبنا إلى روتردام من أكبر المرافىء البحرية في أوروبا وكنا نشاهد المزارع والسدود التي تجسد نشاط الهولنديين ضد البحر الذي يحيط بهم ومشاهدة الحقول والضواحي والسهول والغابات الشاسعة من أشجار الصنوبر.

وفي الميناء شاهدنا السفن والمراكب وصيادي الأسماك فهو يكتظ بالسواح من شتى الأمم ورأينا المحلات التجارية التي تمتلىء بالتحف والصناعات التقليدية ومصانع منتجات الألبان والأسماك المجمدة ولقد حكى لنا المرشد أن هذا الميناء الضخم قد دمر في زمن الحرب العالمية الثانية وأعيد بناؤه. وفي هذه البلدة شاهدنا المنسوجات والسلع الجلدية وقمنا بزيارة لمصنع من مصانع الأجبان وكذا قاطعى الأحذية من

الأخشاب وجلسنا بعد رحلة طويلة نلتمس الراحة في أحد المقاهي وإن كانت كل الأماكن مزدحمة بالناس وهم من شتى بلدان العالم. وبعد استراحة وقضاء وقت ممتع ودعنا هذا المكان المزدحم بالحركة والسياحة والنشاط والحياة والبحر بمنظره الرائع ثم قمنا بجولة على بعض الأرياف الخضراء ذات النظام والنسق الرائع البديع وشاهدنا أنهاراً من الماء ولم نزل نعيش في تلك الأجواء المفعمة بالسحر والجمال حتى وصلنا في المساء إلى العاصمة أمستردام حيث عدنا إلى الفندق وأخلدنا للراحة والنوم.

وفي الفندق التقيت بشاب بدا لي من ملامحه أنه عربي وكان يلبس الملابس الهولندية التقليدية حيث يقف على باب الفندق فكانت التحية بيننا حيث عرفني بنفسه إذ هو عربي من مصر وأنه مقيم في هذه البلاد منذ خمس سنوات ويجيد اللغة الهولندية فسألته هل يوجد جالية عربية إسلامية وهل هناك مركز إسلامي ومسجد لأداء الصلوات فقال نعم توجد جالية إسلامية ولهم مركز إسلامي ويؤدون الصلاة فيه وأغلبهم من أبناء المغرب العربي وتركيا ولكن إمكانياتهم ضئيلة فكلهم من العاملين هنا في الفنادق والمطاعم فقلت: نسأل الله لهم القوة والمزيد من التوفيق والإخلاص للعمل الإسلامي لتكون لهم نتيجة مثمرة في التعريف بالإسلام والدعوة إليه في هذه البلاد.

مدينة هولندا الأرستقراطية

وقمنا بعد ذلك بزيارة لمجموعة من المدن والقرى الهولندية كفولندام العاصمة وأم القرى الهولندية كما يقولون وزيارة قاطعي الماس وبعض المتاحف والمكتبات ومدينة ايندهوفن عاصمة الصناعات الالكترونية ومقر شركة فيلبس الشهيرة.. وفي هولندا معاهد وجامعات ولعل أقدم جامعة بها هي جامعة ليدن الشهيرة والتي تأسست عام ١٥٧٥م وتعتبر مدينة ليدن من أهم مراكز الاستشراق في أوروبا وبها أقدم مطبعة عربية «بريل» طبعت الكثير من مؤلفات المستشرقين وكذا لاهاي مقر محكمة العدل الدولية.. ويطلقون عليها اليوم مدينة هولندا الارستقراطية وهي مقر الحكومة وقد اختارتها الملكة مقرًا لإقامتها.

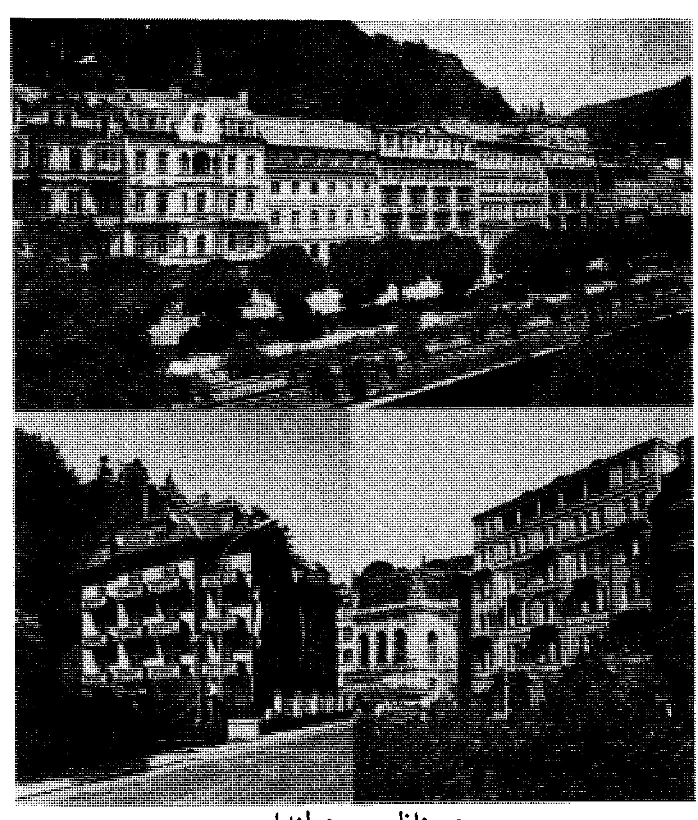
وهكذا فإن لهولندا دورًا تجاريًا كبير الأهمية في العصور الماضية كما أنها ذات تقاليد عريقة في صناعة السفن والأساطيل البحرية كما أن أمستردام اليوم واحدة من المدن المالية ذات الأهمية التجارية. وبعد زيارة لهذه البلاد التي تتألق بالزهور والأماكن

السياحية غادرناها بعد أن أمضينا في ربوعها أيامًا حافلة لا تنسى وتوجهنا بعد ذلك إلى جهات أخرى في أوربا حيث غادرنا أمستردام في الصباح الباكر تحت وابل من المطر وكنا نطوي الأرض في حافلة سياحية ونتأمل بدائع الخالق العظيم في صبح يوم جديد حيث المطر والسحاب والسهول الخضراء والحقول والجمال والزهور مد النظر وتناثرت بين تلك المناظر القرى والمدن منشداً:

الأرض قد كسيت رداء أخضرا　　والطل ينثر في رباها جوهرا

وقول الشاعر:

أما الرياض فقد بدت ألوانها　　صاغت فنون حليها أفنانها
رقت معانيها ورق نسيمها　　وبدت محاسنها وطاب زمانها
نظمت قلائد زهرها كجواهر　　نظمت زمردها إلى عيقانها
تبكي عليها عين كل سحابة　　ما إن تمل من البكا أجفانها



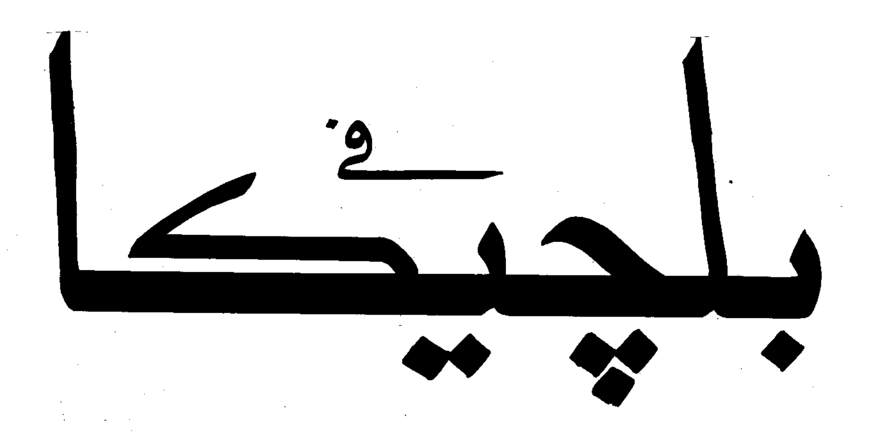
● مناظر من هولندا ●

صدر للمؤلف

عبد الله بن حمد الحقيل

المفيد في الإنشاء

الطبعة الثانية
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م



في صبيحة يوم الأربعاء الموافق ٢١/ ١١/ ١٤٠٦هـ غادرنا هولندا وتوجهنا صوب بلچيكا في شمال غرب أوروبا بطريق السيارات.. وقد استغرقت الرحلة أكثر من ثلاث ساعات حتى وصلنا إلى الحدود البلجيكية الهولندية ولم تكن الرحلة شاقة أو متعبة.. حيث كان الجو بديعًا وممطرًا وكانت الإجراءات سهلة..

فقد عبرنا من بوابة كان عليها أحد الموظفين وبعد أن اطلع على جوازاتنا لوح بيده للدخول ودخلنا إلى بلچيكا وكان الجو جميلاً والنسيم العليل مما ذكرني بقول القائل:

أتاني نسيم السد طيبًا من الحمى   فذكرني نجدا وقطعني وجدا

وعلى طول الطريق يغطي أرضها بساط نضير.. كنا نشاهد حقول الكروم والبساتين وألوان الفواكه والخضار ومعظم أرضها منبسطة في بعض الأماكن.. تتحول الأرض إلى جبلية وغابات في الجنوب الشرقي فيما يسمى بمنطقة الأردين وتحدها فرنسا من الجنوب الغربي ولوكسمبرج من الجنوب الشرقي وألمانيا الغربية من الشرق وهولندا من الشمال.. أما اللغة فإن ٥٧٪ من السكان يتكلمون اللغة الهولندية و ٣٣٪ اللغة الفرنسية و ٠١٪ اللغة

الألمانية و ١٠٪ من السكان يتكلمون اللغتين الهولندية والفرنسية.

أما الديانة فإن ٧٥٪ هم من الروم الكاثوليك و ٢٥٪ من البروتستانت.

اسم بلجيكا مشتق من اسم أول قبيلة سجلها التاريخ تقيم في هذا الموقع وهي قبيلة البلجاي وقد فتحها يوليوس قيصر. . وعاشت ١٨٠٠ عامًا في ظل حكم الغزاة من الرومان والافرنج والاسبان والنمساويين والفرنسيين.

وبعد عام ١٨١٥م أصبحت بلچيكا جزءًا من هولندا ولكنها تحولت إلى مملكة دستورية مستقلة عام ١٨٣٠م.

ويتكلم سكان شمال بلچيكا اللغة الهولندية بينما الفرنسية هي لغة الجنوب ويتحدث معظم السكان اللغة الإنجليزية حيث لم نجد صعوبة في التفاهم. . وتعيش بلجيكا على التجارة إذ أن حوالي ٥٠٪ من مجمل إنتاجها للخارج.

ومن أهم صناعاتها الصلب والزجاج والماس والمنسوجات والكيماويات والفحم والأخشاب.

ومضت بنا السيارة بين السهول والقرى والمزارع والتلال وكنت أستمتع برؤية تلك المناظر وروعتها واستجلى ذكريات التاريخ. . وتذكرت كتبًا تاريخية كنت قد قرأتها عن هذه البلاد وتاريخها. . وكانت أشجار الفاكهة فواحة بأريج أزهارها تياهة بطيب ثمارها. . وبينما نحن نعبر الأودية تذكرت قول الشاعر:

وادٍ أغَنُّ سرى النسيمُ بأرضه　　مترقرقًا بندى النمير الصافي
تشدو العنادل فيه ألحان المنى　　فتثير من شجن المشوق الغافي
وتفيض من نغماتها خطراته　　فتشع بالبسمات والألطاف

ولا شك أن رؤى الربيع ومناظر الطبيعة التي مررنا بها والمروج الخضراء كانت جذابة وخلابة. . وكان الطريق مليئاً بحركة السيارات ولوحات الإرشاد بين الطرق وتوقفنا قليلاً للراحة والاستجمام ولتزويد السيارة بالوقود ثم واصلنا المسيرة وكنا نشاهد الريف البلچيكي الجميل وبيوته التي ترمز إلى متانة البناء ودقة التصميم. . حيث يقع

البعض منها على قمم عالية وذلك تجنباً لمخاطر السيول وبلغنا العاصمة بروكسل قبيل الثانية ظهراً وكانت تعج بالحركة والنشاط . . فالناس في عجلة دائبة وذهبنا توا إلى أحد الفنادق ويسمى اميجو وبعد استراحة وتناول طعام الغداء مضينا في جولة إلى شوارع العاصمة وميادينها ومحلاتها وأسواقها .

ومدينة بروكسل تمثل القلب النابض للحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية لبلجكا . . كما أنها تفخر باحتوائها على أجمل ميدان في العالم وعدد كبير من المتاحف والأبنية الشاهقة وبها مجمعات إدارية وتجارية ضخمة . . ويتخلل ذلك الحدائق الفسيحة التي يمكنك الإستراحة فيها من ضجيج وسط المدينة . . ويستمتع المرء فيها بالبهجة والجمال .

وعدد السكان حوالي مليون نسمة . . ومن أهم المعالم السياحية التي تسنى لنا زيارتها :

- الميدان الكبير وهو من أجمل الميادين في أوربا . . حافل بما يقر النواظر ويسر الخواطر.
- قصر الملك وبه متحف البلدية .
- قصر العدالة وهو قصر ضخم تتجلى فيه الفنون المعمارية .

المركز الإسلامي في بروكسل

لقد تكون المجلس الإسلامي في بلجيكا ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م كان هدفه تأسيس مسجد جامع في بروكسل ومركز ثقافي إسلامي ومقبرة للمسلمين . . اعترفت الحكومة البلجيكية بالمجلس في ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م وتشكلت له لجنة تنفيذية ضمت بعض الأعضاء من السفراء المسلمين وأعضاء من الجالية المسلمة في بلجيكا . . أقيم المركز الإسلامي في الحديقة الخمسينية في قلب بروكسل وعلى قربة من مباني المقر العام للسوق الأوربية المشتركة . . استلم أرض المركز المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز «رحمه الله» خلال زيارته لبلجيكا وافتتحه المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز في ١٣٩٨هـ وحضر الافتتاح الملك (بودان) ملك بلجيكا .

يتكون المركز من أربعة طوابق . . يشمل مدرسة ـ قاعة للاجتماعات والمناسبات الاجتماعية . . قاعة للسيدات ومسجداً صغيراً . . إدارة للدراسات الإسلامية . . مختبر لتعليم اللغات . . مكتبة . والمسجد يعد من أبدع المساجد الإسلامية في أوربا

معماراً . . وبجوار مبنى المركز مبنى آخر أهداه ملك بلچيكا إلى جلالة الملك خالد ليكون متحفاً إسلامياً . . وتضم مدينة بروكسل (المجلس القاري للمساجد) وعدد المسلمين في بلجيكا (٨٠٠ر٢٠٠) تقريباً . .

كما قمنا بزيارة المتاحف الموجودة بها :

- متحف الفن الكلاسيكي .
- متحف الفن الحديث .
- المتحف الملكي للفنون والتاريخ .
- المتحف الحربي كما أن هناك متحفاً آخر لم نقم بزيارته وهو متحف الآلات الموسيقية .

وقد حدثني بعض الأخوة الذين التقيت بهم هناك عن هذا المتحف التاريخي والآلات القديمة الموجودة فيه منذ مئات السنين .

كما قمنا بزيارة إلى واترلو وهي موقع على مسافة ١٨ كيلاً جنوب بروكسل وقد حدثنا الدليل السياحي عن هذا المكان حيث حدثت به موقعة واترلو الشهيرة التي كانت فيها نهاية نابليون بونابرت وكانت في يونية ١٨١٥م .

ثم توجهنا لزيارة مدينة انتفيرب : Antwerp وهي مدينة غنية ومليئة بالحياة ليس فقط بسبب مينائها أو صناعتها ولكن أيضاً لاحتوائها على الكثير من الأنية والمتاحف التاريخية . . وسكان المدينة أنفسهم يحرصون على المحافظة على هذه الصورة لها . . المدينة تعج بالحركة ليل نهار إذ بها صناعة الماس الفائقة الشهيرة والبتروكيماويات ويجد السائح أيضاً الهدوء الكامل إذا أراد تأمل مبانيها الرائعة وأزقتها القديمة المتعرجة وفي مساحاتها الخضراء الهائلة . . وإن مدينة انتفيرب ذات ماض عريق وسكانها حوالي نصف مليون وهي أكبر مدن بلچيكا وترتبط بمجموعة من المدن الكبيرة بواسطة ٤ قطارات كل ساعة تصلها ببروكسل وأكثر من ٢٠ قطاراً يومياً تربطها بمدن روتردام وأمستردام وعشرة قطارات يومياً تربطها بباريس .

ومن المشاهد السياحية :

الجدائق والمنتزهات والمتاحف . . كنيسة السيدة مريم (١٣٥٢م - ١٥٢١م) وقد بنيت على طراز الفن القوطي بأبهائها السبعة وأعمدتها الـ ١٢٥ .

ومن أهم المتاحف. **المتحف الملكي للفنون الجميلة :**

يحتوي على أكثر من ١٠٠٠ لوحة زيتية لفنانين قدماء وكذلك ١٥٠٠ لوحة أخرى لفنانين محدثين. . والمتحف به أعظم مجموعة عالمية من روائع الفنان روبين.

هو أساساً قصر بني في القرن الثامن عشر تحيطه حدائق غناء. . ويمتلىء بالسواح من عشاق الآثار القديمة حيث يستمتعون برؤية البروسلين النادر.

وكان في السابق المقر الخاص والمرسم لفنان مدينة انتفيرب ويتميز بأثاثه الأثري والتحف الفنية التي تنتمي لعصر ذلك الفنان على حد قول المرشد السياحي.

ومن المتاحف الجميلة أيضاً: متحف التماثيل المفتوح. . متحف الفن الشعبي. .

ومن أهم المعالم: الميناء فهو إلى جانب أهميته الكبرى في التجارة الدولية مشهد سياحي جميل ويمكن للسائح في رحلة بحرية قصيرة أو بالسيارة أن يلم سريعًا بنشاط المدينة الصناعي وكذلك معامل تكرير البترول والمجمعات الكيميائية والبتروكيميائية ومصانع تجميع السيارات. . الخ. . إلى جانب المناظر الطبيعية والمباهج الخلابة.

صناعة الماس:

منذ عدة قرون حتى الآن ومدينة انتفيرب هي قلب تجارة الماس وصناعة تقطيعه. . ويمكن للسائح أن يرى بنفسه قطاع الماس وهم يمارسون صناعتهم وقد أتيح لنا دخول أحد المحلات المتخصصة وشاهدناهم وهم يعملون في صناعتهم وعرضوا علينا نماذج عديدة ولكن أسعارها كانت غالية ومرتفعة.

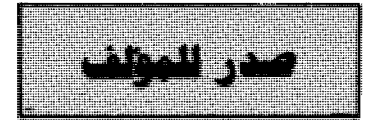
كما قمنا بزيارة إلى حديقة الحيوان بالمدينة ولها شهرة عالمية إنها واحة خضراء في قلب المدينة حيث بنيت فيها متاحف الحيوانات المائية وبيوت الزواحف وبيوت للحيوانات الليلية وغيرها.

ومما تجدر رؤيته بالنسبة للسائح الأسواق مثل سوق الطيور كل يوم أحد وسوق الفن عصر السبت من كل أسبوع وسوق الأثاث القديم صباح كل أربعاء وجمعة.

ومن معالم المدينة أيضًا مطاعمها الفاخرة والمعارض الدولية. . والمنتزهات الجميلة. . وهناك مدن أخرى مثل مدينة بويلون Bouillon.

وبعد جولة في تلك البلاد أخذنا طريقنا متوجهين إلى الأراضي الفرنسية وهكذا نكون بين شد الرحال وحطها وعلى حد تعبير قول القائل:

نزلنا ها هنا ثم أرتحلنا فدنيانا نزول وارتحال



المملكة العربية السعودية

وزارة المعارف

المديرية العامة للأبحاث والمناهج والمواد التعليمية

المكتبات المدرسية

كلمات متناثرة

عبد الله حمد الحقيل

الطبعة الثالثة

في اليونان

في فجر يوم الجمعة الموافق ١٤/٤/١٤٠٣هـ أقلعت بنا طائرة البوينج السعودية، وقد أعلن قائد الطائرة عن الأماكن التي سنطير فوقها في طريقنا إلى اليونان، وأنه يمكننا أن نرى بعض تلك الأماكن وسنطير على ارتفاع ٣١ ألف قدم.

وخلال الطيران لمحنا الكثير من الوديان والرياض والمزارع الخضراء والحقول الواسعة.

وبعد أن اجتزنا تلك المرابع وجاست الطائرة بين السحاب، ألقيت برأسي فوق مساندها الوثيرة وأرخيت أهدابي، ورحت أسترجع شريط الذاكرة وما وعته من تاريخ تلك الديار العريقة التي عرفناها عبر ترجمات العرب الأوائل..

ففي عصر ما قبل التاريخ انتشرت حضارة بلاد الإغريق، وخاصة حضارة كريت، وفي القرن الرابع عشر قبل الميلاد قضت ميكيني على كريت واحتلت مكانها، ومن ثم عرفت الحضارة في شبه جزيرة البلقان باسم الحضارة الميكينية.

وقد قرأنا أن الظروف الجغرافية في بلاد الإغريق قد فرضت ظهور

تكتلات اقتصادية صغيرة، ودويلات إغريقية تطاحنت فيما بينها، وكان أهمها أثينا وأسبرطة، وإن كان هذا الانقسام، وهذه المنافسة، قد ساعدا على قيام الحضارة الإغريقية، وتقدمها، ونضوج التفكير بين الإغريق.

وتذكرت أن اليونان لم يعرف وحدته الكاملة إلا بعد أن فقد الإغريق حريتهم وخضعوا للرومان (١٤٦ ق.م).

اهتزت الطائرة هزة خفيفة أوقفت لدي شريط الذكريات، فنظرت من النافذة، فإذا البحر الأحمر وقد انبسط تحت جناحينا، فتأملته وغاصت عيناي في زرقته الداكنة، ومع تلاطم السحب مع تلك الزرقة الداكنة تناثرت في خيالي ذكريات الماضـي المجيد حيث كانت الفتوحات الإسلامية والحملات البحرية قد وصلت إلى البحر الأبيض بقيادة الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

ثم طاف بي الخيال نحو تطلع الإغريق إلى البحر لاستكمال ما كان يعز عليهم الحصول عليه في بلادهم، ولذلك ترك البحر في نفوسهم أثرًا.

وشهدت القرون الثامن والسابع والسادس قبل الميلاد انتشار الإغريق في البحار وأنشأوا على شواطىء البحر الأسود والبسفور وبحر مرمرة والدردنيل وترافيا وصقلية وجنوب فرنسا وشمال أفريقيا، عددًا كبيراً من المستعمرات، كانت مدنًا حرة لا تربطها عادة بأمهاتها إلا روابط الدين والحضارة.

وعبرت ثقافة الإغريق مع قوافلهم، فمدرسة بلاد الإغريق قد ازدهر فيها عدد كبير من أبرز الشعراء والكتاب، ومن منا لا يذكر أيسخولوس وسوفوكليس وبور بيدس دعائم الدراما الإغريقية التي نقلها إلى العربية طه حسين وصقر خفاجة وغيرهم، وعندما أخذت قوة أثينا تضمحل احتفظ بمجدها الأدبي كل من أرسطو وأديستوفان.

ففي العصر الهلنيستي، حين كانت بلاد الإغـريق نهبًا للحروب والاضطرابات والفاقة، انتشرت الحضارة الإغريقية في ربوع الشرق والغرب، بل أصبحت عواصم الممالك التي قامت على أنقاض الامبراطورية المقدونية أهم مراكز الحضارة الإغريقية، وكانت الإسكندرية بمكتباتها الشهيرة في طليعة هذه المراكز، ومع أن الرومان قضوا على حرية الإغريق إلا أنهم أقبلوا على اقتباس حضارتهم والاغتراف من مناهلها.

وخلال استعراضـي لتلك الذكريات أيقظني صوت المضيفة وهي تعلن اقترابنا من مطار أثينا، فعاودت النظر من النافذة علني أتثبت مما قرأت عن جغرافية اليونان، فهي تحتل الجزء الجنوبي من جزيرة البلقان، والجزر الواقعة في بحر إيجة والبحر الأيوبي.

ويرزخ كورنتوس يشطر اليونان إلى قسمين:

القسم الجنوبي: هو البلويونيز (الموره) وأكبر مراكزه مدينة باتراس، **والقسم الشمالي**: أكثر ثراءً وازدحامًا بالسكان وبه أكثر المدين وخاصة أثينا، والموانىء بيرايوس وسالونيك وقوله. وبلاد اليونان جبلية في طابعها العام، وإن كانت قد اشتهرت بزراعة الزيتون والكروم.

وهبطنا في مطارها بعد أن دارت بنا الطائرة عدة مرات فوق المدينة ولبثنا فيه ثلاثين دقيقة، ومطار أثينا يعتبر مطارًا متواضعًا ويبدو على العاملين فيه الحرص على سمعة بلادهم؛ فقد كانت معاملتهم لبقة وحسنة وتعلو شفاههم البسمة، وفي ردهة الاستقبال وضعت لوحة كبيرة معلقة لتعرف القادمين بأهم المعلومات عن الأنظمة الخاصة بالنقد وما ينبغي ويسمح به في الدخول والخروج.

وكان بجواري مجموعة من الإخوة السعوديين، فقلت تعقيبًا على ما قرأنا:

وعلينا أن نكون فوق ذلك إن شاء الله.

يزين الغريب إذا ما اغترب ثلاث فمنهن حسن الأدب
وثانية حسن أخلاقه وثالثة اجتناب الريب

وبدأت السيارة تجوب شوارع العاصمة نحو الفندق، وكان جو العاصمة سماء مشرقة صافية الأديم، وكان السائق قد أراد بطريق غير مباشر أن يرينا عظمة أجداده، فمر بنا في العديد من الشوارع والميادين التي تريك الطابع القديم الحديث؛ فقد بنيت على أحدث النظم المعمارية مع المحافظة على الطابع الإغريقي القديم، رغم إعادة تخطيطها منذ ١٥٠ سنة بعد أن حصلت اليونان على استقلالها، وكانت اليونان قد وقعت كلها في يد الأتراك سنة ١٤٥٦م.

وفي مطلع القرن التاسع عشر ساورت اليونان، أحلام الاستقلال، وبدأت ثورتها سنة ١٨٢١، وساندها أدعياء الحرية في أوربا، فحالفها التوفيق، وحصلت على

استقلالها وضمت إليها كريت سنة ١٩١٣م . . وتوقفت أحداث التاريخ في خاطري عندما توقف السائق أمام مدخل الفندق المسمى «برزدنت» .

وخلال وجودي هنالك تمكنت من زيارة العديد من المعالم والمتاحف والآثار ولعل أهمها وأشهرها هو الأكروبول . وهو عبارة عن مرتفع جبلي تقوم عليه بعض المعابد القديمة ، ويقع في الجنوب من مدينة أثينا ، يعلو على مستوى السهل حوالي خمسين أو ستين مترًا طوله يتجاوز الثلاثمائة متر وعرضه حوالي مائة وخمسين مترًا تقريبًا ، وينحسر جانباه الشمالي والشرقي عن هوة سحيقة ، وينحدر جانبه الجنوبي بميل شديد ، ولكن يمكن ارتقاؤه من الجانب الغربي ، خصص منذ عهد بعيد لإقامة الهياكل لآلهة المدينة ويكسب أكروبول أثينا مظهرًا رائعًا ، ببوابته الفخمة وحرسه التقليدي الذي يرتدي الزي الإغريقي القديم .

ووسط اليونان وعلى صخرة اكرو كورنثوس التي يبلغ ارتفاعها حوالي ٥٧٥ مترًا تقع أطلال معبد أفروديت إلهة الحب والجمال والإخصاب في الأساطير اليونانية القديمة ، ويقال إنها هي المعبودة الشرقية (عشتروت) وقد لقبها الرومان بـ «فينوس» .

ولعل أهم ما تتميز به هذه البلاد هو موقعها في مفترق الطرق بين قارات ثلاث «أوربا وآسيا وأفريقيا» ـ أجمل ما في الموقع هو بحارها الممتدة وجزائرها المتعددة ومناظرها الطبيعية . .

تزدان مدينة أثينا الحديثة رغم تاريخها القديم بالعديد من المتاحف التي يعود بعضها إلى القرن السادس قبل الميلاد ، وكان المرشدون يركزون في أحاديثهم معنا على الأساطير اليونانية القديمة التي تحتاج إلى بحث وتدقيق وكذا رووا لنا قصصًا عن فلاسفة اليونان كسقراط وأفلاطون وعن الأماكن التي كانوا يجلسون فيها للدراسة والتعليم . .

كما قمت بزيارة لبعض المتاحف إذ أن المتاحف في هذا العصر تقدم معارف متنوعة ، بل هي مصدر للباحث والمؤرخ . وزيارة المتاحف تختصر على المرء الكثير من الجهد والوقت ، ففي مكان واحد يستطيع الزائر أن يتعرف على فترة تاريخية كاملة . ولعل المتحف الوطني أقرب المتاحف لنا ، وهو مفتوح من التاسعة صباحًا ، يحتوي على أهم الآثار اليونانية وقد عرض معظمها في عرض علمي بديع موزع على قاعاته التي بلغت ستًا وخمسين قاعة .

كما قمت بزيارة للمتحف البيزنطي وكذا متحف أثينا الذي يحكي قصة أثينا ويقدم لها صورًا خلال تاريخها الطويل.

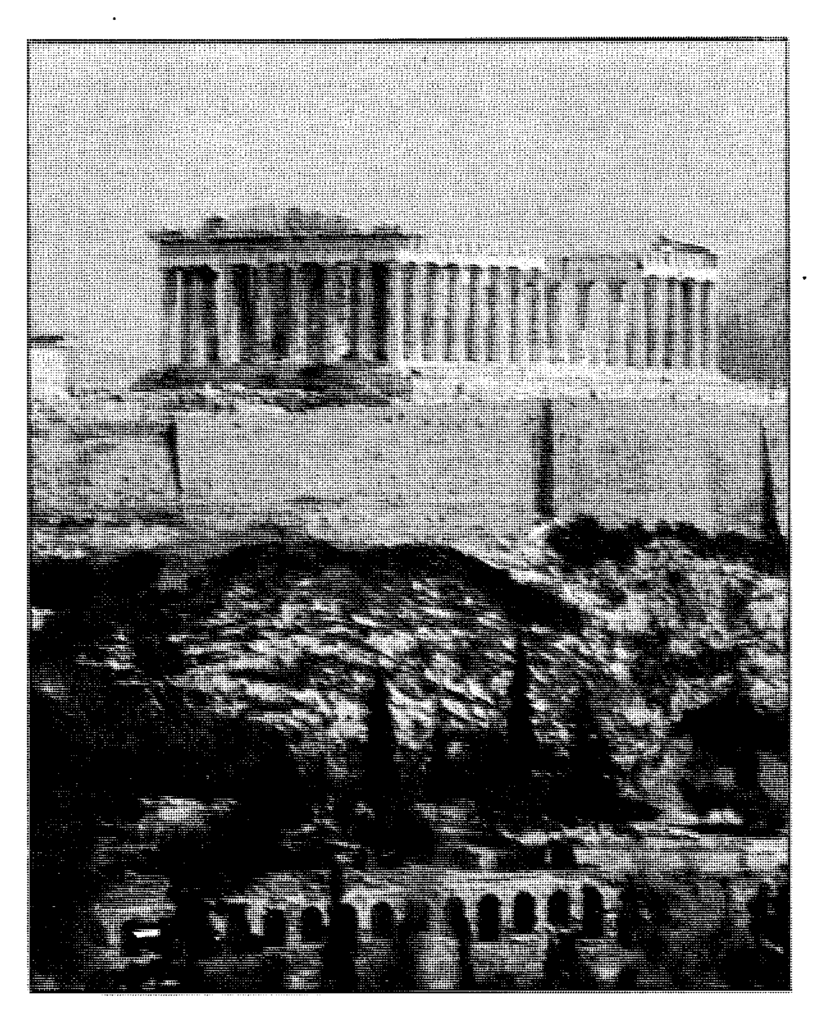
أما المتحف البحري فتوجد به مخلفات وآثار المعارك البحرية التي خاضها اليونان بحرًا ـ ولما كانت اليونان تتمتع بميزة لا يضاهيها فيها بلد آخر، ألا وهي كثرة الجزر، فلذلك حرص المشرفون على السياحة بها على أن تتضمن برامجهم رحلات بحرية ممتعة، وقد شاركت مجموعة من الإخوان السعوديين في رحلات متجهة إلى كل من جزر هيدرا، وبوروس، وايجينيا. . ولعل أجمل ما في هذه الجزر هو الهدوء إلى جانب الطبيعة الغناء.

ووجود المركبات التي تجرها الخيول «فايطون» والتي تستخدم للنزهة والاستجمام إلى جانب توفر كافة الخدمات السياحية، هذا ما جعل هذه الجزر تستقطب السياح الذين كنا نصادف أفواجهم الوافدة من كل بقاع العالم، ولم يفت الجهات المسؤولة أن تقيم في هذه الجزر المتاحف التي رغم بساطتها تنمي الشعور الوطني لدى المواطنين إلى جانبها الثقافي للسائح، فكانت كل هذه الأشياء إلى جانب ما تزدان به هذه الجزر من أشجار مختلفة، وزهور متناسقة، وطيور متناغمة مما يبعث في النفس أريجًا روحانيًا بروعة الجمال.

ولم تستأثر الجزر وحدها بكل الرحلات، بل جرى تنظيم رحلات برية إلى بعض الأماكن الشهيرة بواسطة حافلة، حيث ذهبنا إلى دلفي عبر سهول بوتبيا الخضراء، وعندما اقتربنا من بلدة بوتبيا استرحنا قليلاً ليشرح لنا المرشد علاقة هذه البلدة بالمسرحية المعروفة «عقدة أوديب».

كما مررنا بمدينتي ليفاديا وآرخوما الشهيرتين بصناعة السجاد والبساط الملون حتى وصلنا إلى مدينة دلفي مركز العالم القديم كما يطلقون عليها، ولم يفتنا فيها زيارة متحفها الظريف الأنيق إلى جانب أطلالها العريقة ومشاهدة جبل بارناسوس المطل على مناظر جميلة خلابة.

والمـواطن اليـونـاني في مجمـوعـه بشـوش الوجه، رغم ما يبدو على مظهره من البســاطة، فهو سعيد بيومه مستمتع بوقته ولذلك تجد المطاعم والمقاهي والمكتبات والمعارض والمتاحف مكتظة بمن فيها تبدو عليهم - كما في مدنهم - الأناقة والنظافة وعدم كراهية الغريب وبعد تمضية بضعة أيام غادرتها والنفس مفعمة بشيء من الذكريات.



● أحد المعالم السياحية في اليونان ●



تضم ولاية أكلاهوما الأمريكية عددًا من الطلاب السعوديين والعرب وقد رغبوا في تنظيم ليلة يدعون فيها أساتذتهم وزملاءهم ومن هم يتعاطفون مع العرب ويتحمسون للإسلام، ووجهت رقاع الدعوة إلى أعداد أخرى خارج الولاية، فكان حفلاً رائعًا يجسد الشرق بجماله وحضارته ومجده التليد وروابطه التاريخية، وما أن حان وقت الحفل حتى شهدنا أعدادًا كبيرة من الناس تهرع لحضور هذا الحفل حتى غصت القاعة الكبرى في مدينة نورمان بالمدعوين من الأساتذة والطلاب ورجال العلم والمعرفة والمراكز الإسلامية فكان لقاء كريمًا ازداد التعارف فيه بين الحضور وذلك في عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

وخلال الحفل ألقيت الكلمات والأناشيد والرقصات الشعبية وقدم الطعام العربي الشرقي اللذيذ.

فرأيتها فرصة طيبة فنهضت متحدثًا عن مراكز الثقافة الإسلامية في العصور السالفة وكيف كان الشرق منارة تشع فيها أنوار العلم والعرفان، وكيف خبا ذلك النور

ثم أردفت القول بهذه القصيدة: رغم أني لست بشاعر ولكن المناسبة ملأت جوانح النفس فألقيت هذه القصيدة في قاعـة الاحتفـالات بجامعة اكلاهوما خلال حفل (الليلة العربية) فجاءت هذه القصيدة تحية لليلة وتعريفاً بمفاخر الحضارة والثقافة العربية الإسلامية.

حي الجميع بليلة عربية جمعت كرام الصحب والأمجاد
يا ليلة جمعتنا وسـط ولايـة بجنوب أمريكا بلا ميعاد
قد زانها حسن التعاون والإخاء هاجت من الأشجان كل مراد
وغدت بذكرى شرقنا وجماله وزهت تتيه به على الأنداد
أيامه الغر الوضاء توهجت في خاطري وتضوعت بمداد
يا إخوتي في الضاد ألف تحيـة تترى مدى الأيام والأبعاد
فلئن تجمعنا هنا في ليلة فالقصد تعريف بكل بلاد
فروائع الأمجاد قد كانت بها ومفاخر التاريـخ والاسعاد
هم شعلة الدنيا ومطلع فجرها والحاضر استهدى بهم والباد
فلقـد علوا في الخافقين وأوغلوا بحضـارة ممتدة الأوتاد
لله من يوم تألق جمعنـا وزها بروعة أجمل الأعيـاد
يادوحة المجد الأصيل توهجي بمفاخر الأجـداد والأحفاد
فلكم تألق عالم من أرضنا وأتى بكل فضيلة وسـداد
لكنها مثل الأساطير انطوت في عصر تكنيك شديد عناد
بالأمس قرطبة وبغداد بها علم وآداب وحسـن وداد
ومهابط الوحي العظيم فتزدهي بالفخر والإشعاع والرواد
ودمشق دار أمية ومعارف والنيل يحفل بالسنا الوقاد
والمغرب الأقصى تجلى فاخرا مما جرى لعقبة وزياد
واليوم نطمح أن نعود لمجدنا مترسمين مسيرة الأجداد
فملاحم التاريخ توحي أن من يسعى ويعمل صابرا بجهاد
لا بد أن نصل الذي وصلوا به علم وتخطيط بكل عتاد
أنتم هنا رسل البلاد وفخرها بل موئل لرجائها ورشاد
إذ بالعزائم والشدائد نرتقي في كل ميدان بكل وهاد

ونقول للدنيا بكل شموخها   إن المبادىء مصدر الإمداد
ولقد رأينا طول فصل كامل   كيف التغير في الولاية باد
ولقد توهج فجرنا في وقفة   باتت تؤرق مضجع الحساد
حين انبرى العرب الأباة بقوة   إذ حطموا ما كان من أطواد
والمسجد الأقصى علينا واجب   تحريره من قبضة الأوغاد
العز للإسلام دوما خالدًا   مهما يكن من بالغ الأصفاد
آي الكتاب تضيء كل دياجر   وتشع بالتبصير للميعاد
إني وجدت الخير في دنيا التقى   متنكبا ما كان من أضداد
قد عزنا الإسلام بعد جهالة   لا فرق فيه بأبيض وسواد
يا إخوتي نبراسنا وضياؤنا   الدين والأخلاق نعم الهادي
فتمسكوا بهما على طول المدى   فهما لنا ذخر وخير عماد
وعلى هدى الإسلام نبقى هاهنا   متمسكين بديننا بجلاد
لن أنسى طول الدهر مثل لقائنا   في «نورمن»[١] هي ملتقى القصاد
نسجت جمال الورد في أحيائها   وتمايس الأغصان وسط الواد
وبحيرة بالحسن يا لجمالها   والروض طوقها بحسن اياد
وسنذكر الأيام وسط ربوعها   بعد افتراق الجمع والآحاد
مرحى بمن قد جاء يحضر حفلنا   من سائر الأرجاء والأنجاد
متكبدا طول الطريق وبعده   ومتاعب «الهـاي وي» والتـرناد[٢]
قد جاء من تكساس أو واشنطن   نيومكسيكو ميشـقان ومن نيفاد
ميشـقان فلن أنسى بها أيامنا   تلك الولاية ذكرها بفؤاد
فصلان قد أمضيتها بربوعها   بلد الثلوج تغطي كل مهاد
وتحية للكل ممن قد أتى   بمشاعر ومحبة للضاد

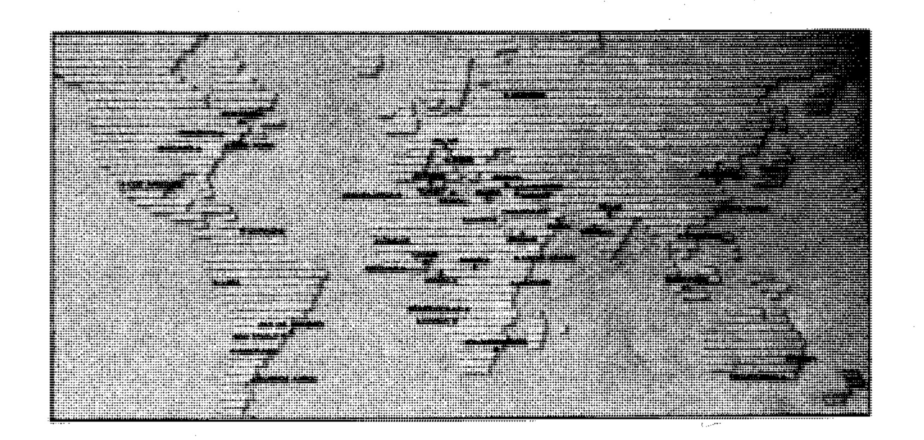
ثم انفض الحفل الذي كان مشهدًا رائعًا يمثل الماضـي والحاضر ويعطي صورة طيبة عن العادات والتقاليد، كما كان فرصة للتعريف بالحضارة الإسلامية وتراثها

---

(١) نورمن: إحدى مدن ولاية اكلاهوما وبها مقر الجامعة.

(٢) الترناد: محرفة عن «الترنيدو» ريح عاصف شديد.

العريق، وبينما كنت في وداع بعض الإخوان وإذا ببعض الأساتذة الأمريكيين يقولون لي: لقد ذكرت قرطبة فما شأنها بالعرب فقلت: هل تقصدون ما شأنها بالأمس أم اليوم؟ فأوضحت لهم تاريخها وما كانت تحفل به من مجد علمي فهي من المدن التي يفيض بذكرها التاريخ الإسلامي وما الحضارة الغربية إلا امتداد طبيعي في مجال تراثنا العلمي ولكن الحاقدين على عظمة الثقافة الإسلامية وصيرورتها ثقافة عالية هم الذين يكابرون في ذلك.



خاتمـة

المهم في أدب الرحلات حقيقته الفكرية ومعناه الاجتماعي وليس ما يعني به البعض من متسـلقي أعالي الجبال من هملايا إلى أيفـرست. . إلى شامنيـو. إلى انـابـورنـا وغيرها فقد قال لي أحدهم ذات يوم أن المتعة في الرحلات هي في روح المغامرة وأن يعيش وسط الثلوج والبرد والأعاصير وقمم الجبال تتقاذفك الرياح من كل صوب فقلت هذه مغامرات رهيبة قاتلة فتسلق الجبال لها روادها وهواتها وكم مات الكثير منهم فيها ومفهومي للرحلات على حد قول القائل:

سـفر الفتى لمالك وديار وتجول في سائر الأمصار
علم ومعرفة وفهم واسع وتجارب ورواية الأخبار

ولقد اهتم أسلافنا رحمهم الله بالرحلات ومن أشهرهم المسعودي (أبو الحسن علي ابن الحسن بن علي المسعـودي) توفي سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م. . ومن كتبه «مروج الـذهب ومعادن الجوهر» والادريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس) توفى سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٦م وله كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» «وابن جبير» توفي سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م وله كتاب رحلة الكناني نسبة إلى قبيلته ويعد ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي الذي عاش من سنة ٧٠٣هـ / ٧٧٩هـ الموافق ١٣٠٤م من أشهر الرحالة المسلمين على الإطلاق،وقد قطع في ترحاله وأسفاره أكثر من ١٣٠ ألف كيلا وله كتاب «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجـائب الاسفـار» وغـير ذلك من الكتب والأسفار التي تركها أسلافنا في مجال الرحلات مثل كتاب «جزيرة العرب» للأصمعي وكتاب «المسالك والمالك» وكتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي. وإلى جانب ذلك نجد كتب المؤلفات الجغـرافيـة بأنـواعها الإقليمية والمناخية واللغوية التي كانوا يواجهونها في رحلاتهم

وخلال أسفارهم . . ومن يقرأ كتاب «الرحالة المسلمون في العصور الوسطى» لمؤلفه الأستاذ زكي محمد حسن وكتاب الأمير مصطفى الشهابي «الجغرافيون العرب» وغيره ممن تناولوا هذا الجانب الحيوي يدرك دور أسلافنا وإسهامهم في عالم الرحلات والفكر الجغرافي.

وهذا يدحض المقولات التي قرأتها بل وسمعت من الغربيين أن العرب ليس لهم دور حيوي في هذا المجال وهو إنكار ينطلق من التعصب وقد قلت للكثيرين اسألوا المستشرقين في بلادكم عما أسداه أسلافنا من خدمات جليلة في ميدان الرحلات والجغرافيا وما دونوه من كتب بل وما ترجموه كذلك.

حقًا إن ميدان الرحلات وتاريخها مازال في حاجة إلى الدراسة والاهتمام . . وكم نزجي الشكر وافرًا لمجلة «المنهل» التي تعني بهذا اللون وتهتم بهذا الجانب وتوليه عناية واهتمامًا منذ سنوات طويلة فقد أسهمت في إثراء هذا الجانب وحرصت على ازدهاره وأفسحت المجال لنشره لما فيه من فوائد وحث على الاعتبار والتأمل والتفكر في خلق السموات والأرض والنظر في مخلوقات الله مما يدعم الإيمان بالله والتعرف على مسار الأمم والحضارات وانتشار الإسلام في العالم.

فالقرآن الكريم ما فتىء يوجه النظر إلى ما في السموات والأرض ويفتح الأعين على بديع صنع الله في هذا الكون ويبصر المؤمنين بآيات الله في الآفاق . . ولقد سجل الكثيرون من الشعراء رحلاتهم في قصائد تضمنت الوصف الدقيق ومن ذلك قول القائل حين زيارته إلى لندن:

جل في شوارع لندن وبأرضها ... وتنقلن بطولها وبعرضها
لترى البناء منسقًا ومزوقًا ... ومتاجرًا يغريك شائق عرضها
الزهر في جنباتها متبسم ... من فاقع متفتح في روضها

إلى أن يقول:

والمتحف الوطني فيه عجائب ... وغرائب تغرى الدنى وتخلب
تحكى العصور السالفات لكل شعـ ... ـب للقديم وللحديث تقرب
ولكل علم متحف متكامل ... في لندن ببنائه يتبختر
يعلو إلى هام السما بطوابق ... من كل نوع في الحياة تصور

كما يصف السقوط الأخلاقي في تلك الديار:

في اكسفورد وبيكدل مصارع يبكي لها الأشراف والأعيان
إن الحصانة والعفاف خلائق نادى بها الإسلام والإيمان

كما يصف بلاد السويد:

بلد السويد به الحضارة جمة تبدو لدى الأسواق والأعمار
ومتاحف ومعارض وقطارها وسط المدينة ذائع الآثار
فيها ملامح لندن ببنائها ودخانها وقطارها السيار
إن كانت «الدنمرك» أنظف شارع من دونها وسخ يرى وغبار
وإلى فرنسا في ربا «باريز» قد ذهل الجميع بباهر الأنوار
وبساحها مجد عظيم شاده فيها الملوك بسابق الادهار

وهي قصيدة طويلة يذكر فيها أوروبا وأخلاق أهلها وعاداتها وينهيها قائلاً:

فإليك يا حمد الحقيل رسالة تأتيك عبر مفاوز وبحار
من قلب أوروبا ومن باريزها بلد الفساد وموئل الفجار
وإليك من لبنان آخر رحلتي هي آخر الأنباء في أسفاري

وهكذا نرى البعض من الرحالة يصوغ مشاهداته في قصائد شعرية جميلة ووصف بديع لطيف هو صورة صادقة لمشاعرهم وأحاسيسهم ومشاهداتهم ولا أريد أن استطرد في هذا المجال فهناك عشرات الكتب والبحوث والمقالات التي تناولت أعمال الرحالين العرب وأعلام الجغرافيا المسلمين كما تناوله آخرون كنوع من الأدب أو الفن القصصي.



• رحـلات وذكر يـات •

بمناسبة صدور كتابي «رحلات وذكريات» عام ١٤٠٠ هـ والذي طبع عدة مرات فقـد نشرت مجموعة من الصحف والمجلات تعليقات شتى عن ذلك الكتاب وما تضمنـه من رحـلات قمت بها إلى البـلاد العربية والإسلامية والأسيوية وهو دليل الأهتمام بأدب الرحلات.

ـ الكتاب: رحلات وذكريات (المؤلف: عبد الله حمد الحقيل).

ـ الناشر: تهامة ـ جدة ط ٤ ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م (١٣٨ص).

☆ ☆ ☆

شغف الكثير من الأعـلام والأدبـاء السعـوديين بأدب الـرحـلات، إذ سجلوا انطباعاتهم ومشاهداتهم سواء كانت تلك الرحلات داخل بلادهم أم خارجها. وفي كل رحلاتهم كانوا ينطلقون منطلقًا عربيًا وتراثيًا ودينيًا. أي كان الرحالة السعودي، وهو يكتب أدب رحلات يقتفي آثار الرحالة العرب في مختلف عصورهم. ينظرون إلى مرئياتهم، ويعبرون عنها، ويسجلون انطباعاتهم إزاءها.. من منظور عربي أصيل، ومنظور إسلامي ثابت.

وها هو ذا أحد أولئك الأدباء السعوديين الذين ارتحلوا خارج وطنهم، وجابوا أكثر بلدان العالم العربي والإسلامي والأوروبي والأمريكي.. إنه [عبد الله حمد الحقيل] الذي زار الكثير من عواصم ومدن عربية ومشرقية وغربية.. تبدأ بغالبية مدن الخليج العربي، كالكويت، والمنامة، والمحرق، والرفاع، والدوحة، ومسقط، ودبي، ورأس الخيمة، والشارقة وعجمان، وأبو ظبي.. ثم البصرة، فبلاد الشام: دمشق وبيروت

وأكثر مصايف لبنان. وتركيا: مرورًا بطرابلس، اللاذقية، أنطاكية، الاسكندرية، أضنة، أنقرة استانبول. ومصر (القاهرة) والسودان (الخرطوم، وأم درمان)، وتونس والجزائر (العاصمة، وهران، تلمسان، عنابة وغيرها). والمغرب الأقصى (الدار البيضاء الرباط، فاس، وغيرها)، والأندلس، وجبل طارق. والولايات المتحدة (نيويورك) وولاية (أوكلاهوما) وفي الشرق الأقصى: سيول عاصمة كوريا الجنوبية، وبانكوك عاصمة تايلاند، ومانيلا عاصمة الفلبين وجزيرة سنغافورة، وكراتشي عاصمة الباكستان، وأخيرًا أثينا عاصمة اليونان.

وإن رحلات الحقيل لتضيف كتابًا إلى كتب الرحلات السعودية عبر العالم، والتي طبع منها عشرات الكتب وفي مقدمتها الكتب التي خلفها لنا كل من أحمد عبد الغفور عطار. [عشرون يومًا في الصين الوطنية]، ومحمد محمود الصواف [رحلاتي إلى الديار الإسلامية]، وعلى فدعق [أيام في الشرق الأقصى]، وعبد العزيز الرفاعي [خمسة أيام في ماليزيا]، ومحمد ناصر العبودي [رحلة إلى جزر مالديف، وجولة في جزر البحر الزنجي، ورحلة إلى سيلان]، وعبد الله سعد الرويشد [أيام في تونس]، ومحمد عمر توفيق [من ذكريات مسافر]، وشكيب الأموي [قصة رحلة إلى الشرق الأقصى، ورعب على ضفاف بحيرة جنيف]، وعبد الله الشهيل [صور عربية إلى إشبيلية]، وعبدالكريم الجهيمان [ذكريات باريس، ودورة مع الشمس]، وفهد العريفي [من وراء الحدود]. وغيرهم.

وإذا كانت تلك الرحلات السعودية تتراوح دوافعها وحوافزها ما بين الالتزامات الرسمية المقيدة والرغبات الخاصة الحرة.. فإن رحلات الحقيل تجنح في أكثرها إلى الدوافع الذاتية الخاصة المتحررة من كل برامج مسبقة تحددها الفئات المسؤولة عن الرحلة، ولا يحيد عنها الرحال قيد أنملة. لذلك فقد كان الحقيل في رحلاته ـ ماعدا رحلات مدن الخليج العربي، ورحلة على النيل وفي الشرق الأقصى حرًا في زيارته ومشاهدته، وحرًا في تنقله ووقوفه وتسجيل انطباعاته.

وظلت تلك الانطباعات تجمع الملاحظات العامة، والمواقف الجزئية الذاتية الخاصة الدقيقة. وفي كل تلك الملاحظات والمواقف، كان الحقيل لا يخرج عن فن ومضمون ومنحى أدب الرحلات عند أولئك الأدباء السعوديين السابقين الذين لا

يخرجون بدورهم ـ كما ذكرنا ـ عن الخطى والمسار والمضمون والرؤى والأصول التي وجدوها عند الرحالة الجدود والأخوة من التراث الرحلي العربي: القديم والمعاصر. . الذين تتشابه أو تتقارب في المنابت والمناهل أهدافهم الثقافية والفكرية والدينية والعربية.

وقد تفصح بعض ملاحظاته العادية العفوية عن مدلول ذي معنى يختلف عما اعتاد عليه في وطنه من قيم تمثل الأصالة والأمان والخير.

كما أن انطباعاته عن المشاهد العامة لابد لها من أن تصطبغ بروح العربي المسلم الـذي يستنكـر كل مكـروه أو تشويه، وتأنف نفسه من كل المعاني التي تنهي عنها الشريعـة الإسـلامية، وتـأبـاهـا الأخـلاق العربية الأصيلة؛ فتراه يقول معبراً عن انطباعاته إثر مشهده ووصفه لمصارعة الثيران في أسبانيا:

والـواقع أنه مشهد مؤلم يثير الامتعاض والأسى، إذ كيف يهضم هؤلاء تعذيب الحيوان بهذه الصورة البشعة التي تتنافى مع الدين والخلق والذوق. . ومهما قيل في تبرير ذلك من أنها مورد سياحي مهم ومصدر دخل كبير، فإن أسلوب المصارعة بهذه الآلات الحادة غير لائق أبدًا، وتعذيب الحيوان المسكين الذي نادت التعاليم الدينية بالرأفة به. . وخرجت من ميدان المصارعة وأنا أحمل أسوأ الذكريات وأقسى الإنطباعات.

• مجلة الفيصل العدد ١٣٨ •



كما نشرت مجلة المنهل الغراء ما يلي.



رحلات وذكريات

تأليف الأستاذ / عبد الله حمد الحقيل

«رحلات وذكريات» أحد كتب الرحلات الحديثة الممتعة نرى العالم من خلاله صفحات مفتوحة مقروءة، نقلبها بأيدينا وعقولنا وقلوبنا. .

. . تتلاحق فيه المدن والأرياف والعواصم والأقاليم . . وتتناثر العادات والتقاليد والأعـراف، هنـا وهناك، تقفز العين بين أسطره . . والنفس بين مناظره ومرئياته ومحساته التي تجسدها الكلمات . .

ذكـريـات الكـاتب القـديمة ومحفوظاته تقف من خلف الذاكرة، وتستقر بين الكلمات المسـطورة، ليـأتي السفر نحتًا مجسمًا من الألوان والظلال . . والكتاب في مجمله، رسم بالكلمات تتداعى فيه الرؤية والرؤى.

مع هذا الكتـاب نطوف العـالم على متـون الـطائـرات والسفن، والقطارات، والسيارات، وعلى الأرجل، الخليج العربي، الشام، المغرب العربي، أفريقيا، أوربا الشرقيـة والغـربيـة، أسيا والشرق الأقصى والأدنى، وفي كل ذلك نجد التاريخ والحضـارة، والفكـر والعلوم والمخترعات، والآداب والثقافة، العادات والقاليد، غرائب الحياة، وعجائب الطبيعة، واختلاف البشر وألوان حياتهم بكل طعومها ومذاقها . .

كاتب هذا الكتـاب هو الأستـاذ الأديب عبد الله حمد الحقيل، أديب ذواقة . . ورحالة معاصر يهوى الأسفار وأحب الترحال، سعودي الأصل، نشأ وترعرع في بيت علم وفضل، أحب الأدب والتاريخ وله مؤلفات مطبوعة في الثقافة والأدب والتربية والتراث والاجتماع ومشاركته الوافرة التي تفيض مداد علمه في المجلات والصحف ووسائل الاعلام. عمل مدرسا للغة وآدابها وطرق باب الشعر وشارك في النقد وحقق وأخذ من كثير من العلوم بطرف.

أسلوب المؤلف في هذا الكتاب . . هادىء رزين، لانشاز في تعبيره، ولا تكلف في لفظه. تغلب عليه النزعة الأدبية فيطعم عرضه بشارد من الشعر وأخذ من الأمثال والحكم.

جاء الكتاب خلاصة تحمل في طياتها صورًا تذكر أمام القارىء، وتحلق به في أجواء مختلفة وخواطر متفرقة لا تقف عند الانسجام والمتعة فحسب، وإنما تهدف أيضًا إلى الأسوة والقدوة، إلى العظة والعبرة، «إلى ما يترك أثرًا خالدًا ويعود على هذه البلاد باستنهاض الهمم وحفز واستجلاب الخبرة.

بدأ المؤلف «كتابه» بمقدمة خفيفة، تحدث فيها عن الرحالة والرحلات قديمًا ومن ارتادوا هذا الميدان من المسلمين والأوربيين وغيرهم. «فقد كانت الرحلات فيما مضى عملاً شاقًا مضنيًا، حيث كان الرحالة يعترضون لحالات كثيرة كتقلب المناخ وتبدل الأجواء، إلى جانب ما يصادفونه من الخوف والضياع وطول الطريق ومصارعة الأمواج ووحشة المحيطات».

وروى أحد الحكماء قوله:

المسافر يجب أن يكون له عينا صقر ليرى كل شيء، وأن يكون له ظهر جمل ليتحمل أي شيء وأن يكون له ساقًا نعزة لا تتعبان من المشي، وأن تكون له حقيبتان إحداهما مال والأخرى صبر.».

ينتقل بين الوهاد والنجاد بقصد الفائدة والاعتبار، والنظر في آثار من قضي من الأمم والسير في تلك الديار للتعرف على مصيرهم كما قال تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض﴾ وكم من أناس تعرضوا للضياع وألقوا أنفسهم إلى التهلكة في سبيل المعرفة واكتشاف الجديد، من أمثال ابن بطوطة وابن ماجد، وماكوبولو، وكذلك الذين داروا حول العالم في سفن شراعية مثل ماجلان وفاسكو دجاما وكولبس.. وساروا في محيطات مجهولة وصحاري مهلكة، بلا طعام ولاخرائط ولامرشدين، فاكتشفوا القارات والطرق وحددوا المسارات للسفن.

ويرسل حديثه إلى هواة الرحلات بأن يستفيد كل في مجال تخصصه، سواء كان أديبًا أو مؤرخًا أو جغرافيًا، أو صحفيًا أو عالمًا أو رجل أعمال وإدارة..

ولم ينس الكاتب في معرض حديثه أن يسوق النصائح مما ساقها القدماء.. فسجل وصية لحكيم عربي يوصى صديقًا له:

إنك تدخل بلدًا، لاتعرفه، ولا يعرفك أهله فتمسك بوصيتي تكتب لكل السلامة.. عليك بحسن الشمائل.. فإنها تدل على الحرية ونقاء الأطراف فإنه يشهد بكرم المنبت.. ونظافة البِّزة فإنها تنبىء عن النشوء في النعمة، وطيب الرائحة فإنها تظهر المروءة.. والأدب الجميل فإنه يكسب المحبة، وليكن عقلك دون فعلك، ولباسك دون قدرك، والزم الحياء والألفة فإنك إن استحييت من الفضاضة اجتنبت الخساسة، وإن أنفت من الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة.

والأستاذ عبد الله الحقيل في هذا الكتاب (رحلات وذكريات) يكثر في مصاحبة الشعر والاستشهاد به ويغلف الكتاب بنكهة تحببه إلى النفس وتجذب إليه القارىء جذبًا وتشده شدًا ففي «دمشق» مثلاً يعجب بعين الفيجة وبقين وبلودان، ويعجب بالأنهار والجداول والشلالات تنساب مياهها بين المروج والأشجار - فيمر بخاطره قول شوقي:

سلام من صبا يردي أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق
فتحت جنانك الأنهار تجري وملء رباك أوراق وورق

وعندما ارتحل الكاتب في تجواله إلى مدينة «أنطاكية» في تركيا تواردت الذكريات في خاطره وتذكر في من تذكر الشاعر العبقري الطيب المتنبي عندما هجر حلب وقت اشتداد الصراع بين الأخشيديين والحمدانيين وجاء إلى «أنطاكية» ليقيم في ربوعها - ومن قوله في مدح الأمير المغيث بن علي العجلي يقول:

دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا لأهله وشفى أني ولا كربا
لما أقمت بانطاكية... اختلفت إلى بالخبر الركبان في حلبا
فسرت نحوك لا ألوى على أحد أحث راحلتي الفقر والأدبا

وعلى هذا النحو الممتع نرتحل بين الطروس والصفحات، من غير ملل، فننتقل من بلد إلى آخر ومن قطر إلى قطر، نستمتع بالتاريخ والآثار والطبيعة، ونعيش مع الناس حياتهم، ونشاركهم ما نستطيع فيه المشاركة.

مـــع الحقيـــــل..
فـــي رحلاتــــــه

بقلم الأستاذ الدكتور الصفصافي أحمد المرسي
الأستاذ: بجامعة عين شـــمس

استمتعنا برحلة الأستاذ عبد الله حمد الحقيل الأخيرة إلى فرنسا وأوربا والتي نشرت بجريدة الجزيرة يوم الإثنين ٢١ صفر ١٤٠٣هـ العدد ٣٧٣٠.

وقبل أن نتجول مع الرحلة أود أن نعود القهقرى لنرى دور الرحالة مدى التاريخ ودور أجـدادنا الأوائل في تعريفنا بالشعوب الأخرى حتى نضع الرحلة في مكانها الطبيعي بين رحلات الرحالة العرب.

إن تاريخ الإنسان إنما هو تاريخ لمحاولاته التعرف ثم السيطرة على العالم الخارجي من حوله. وقد ناضل أولاً القوى الحيوانية التي تحول بينه وبين هذه السيطرة ثم أخذ يناضل القوى الإنسانية. فتكونت القبيلة ثم الأمة واندفعت من اقليميتها إلى الأقاليم المجاورة تكتشف آفاقًا جديدة. ثم بدأ ينطلق إلى الفضاء الخارجي عبر الكواكب ويغوص في أعماق البحار والمحيطات بحثاً عن المعرفة ورغبة في الامتلاك.

كل هذه الرحلات بدأت ضيقة. ثم اتسعت مع مر الزمن. فالإنسان ولد راحلاً، وإن أعجزته الرحلة تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال كما هو الحال في رحلات ألف ليلة وحي بن يقـظان لابن طفيل والتـوابع والزوابع لابن شهيد ورحلة دانتي الإيطالي في الكـوميديا الإلهية والشاعر التركي العبقري الشيخ غالب في رحلته إلى مدينة القلوب (حسن وعشق) كما نجد ذلك مبثوثاً في الأساطير الأولى. كما نجده ماثلاً في الحروب والفتوح القديمة. وماسطره الملوك الأول في مصر وغير مصر.

ومن المعروف أن ملوك مصر سجلوا رحلاتهم في آسيا... ويوجد على جدران معبد الدير البحري بمصر العليا تصاوير بديعة لسفن الملكة حتشبسوت من ملوك الأسرة الثامنة عشرة وهي عائدة من رحلتها إلى بلاد. بونت. في الجنوب.

وكان للفينيقيين رحلات بحرية كبيرة خاضوا فيها عباب المحيط الأطلسي وحطوا رحالهم في الجزائر البريطانية. وخلفهم الأغريق يقيمون مستعمرات لهم في البحر الأسود وفي البحر المتوسط. وقد عنوا عناية واسعة بوصف البلدان والأقاليم التي زاروها. . وقدموا لنا الكثير من المعارف الجغرافية.

ثم جاء دور العرب وفتحوا الأرض من الهند والصين إلى المحيط الأطلسي وجبال البرانس. ومن التركستان وجبال القوقاز إلى السودان، وأصبح كل ذلك عالما واحدًا مشتركًا في اللغة والدين والثقافة، ووصف مؤرخوهم مدن هذا العالم وبلدانه، كما وصفوا سكانه وكان ذلك إرهاصًا لما قام به علماؤهم وأدباؤهم من رحلات المستقبل. اشترك فيها التجار وغير التجار.

وكان من أهم الأسباب في تدوين هذه الرحلات حاجة الدولة إلى معرفة الطرق الكبرى التي تصل أقاليمها. ومن ثم ألفت كتب كثيرة في وصف المسالك والممالك. . وهذه الحاجة السياسية اقترنت بها حاجة دينية. إذ كان الحج إلى مكة الكرمة فريضة على كل مسلم. يتجشم في سبيلها كل المشقة في سبيل أداء هذه الفريضة وزيارة مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة.

كانت الرحلة عنصرًا قويًا في حياة المجتمع الإسلامي في عصوره الزاهرة فقد رحل الناس لزيارة مهبط الوحي. ولقوا في ذلك الكثير من صعوبات السفر التي تحملوها راضين مسرورين ورحل الناس في طلب العلم من قطر إلى آخر. فقد كان العلم منتشرة مراكزه في أنحاء العالم الإسلامي وطلابه كانوا يتحملون من المشاق في سبيل الحصول عليه ما يحملنا على احترامهم وإجلالهم ورحل القوم في سبيل الإتجار. فقد كانت الأسواق الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها مرتبطة ببعضها البعض كل الأرتباط. وكان التجار يحملون متاجرهم وسلعهم إلى حيث يرجون الربح الوفير. أضف إلى كل ذلك رحلة السفراء المترددين بين الملوك والأمراء. والمغامرين الواجدين في الرحيل لذة خاصة، والساعين في سبيل الرزق إذ ضاقت بهم أرضهم وجوابي الآفاق. كل هذه نماذج من الرحلة عرفها العرب والمسلمون. وقد شجعهم على الاستزادة منها خضوع العالم الإسلامي برقعته الواسعة لدولة واحدة في بادىء الأمر. فلما ذهبت الوحدة السياسية بقيت وحدة الدين ووحدة اللغة. وهاتان ربطتا الحجاج وطلاب العلم ورسل السلاطين وحملة البضائع وزعماء الصنائع فاحتفظوا بالصلة بل

لعل الرحلة كانت أقوى في عهد التفرق السياسي منها قبلا لاعتياد العالم الإسلامي درجة من المعيشة. ونوعًا من الحياة ولونًا من التفكير تحتم على أفراده الاتصال والاتجار والتبادل الفكري والأدبي.

وقد دون كثير من رحالي العرب أخبار أسفارهم وتنقلهم. فذكروا المدن التي هبطوها والمسافات التي اجتازوها والصعوبات التي تغلبوا عليها ووصفوا البلاد وزرعها وقيدوا مشاهداتهم عن صناعاتها وتجارتها، وأتوا على وصف السكان. فعرضوا الطيب من عاداتهم بالمديح. وعابوا ما فيهم من ضعف كالذي انتقده ابن جبير من عادة أهل دمشق في تحيتهم وصفة سلامهم فقال وهذه الحالة من الانعكاف الركوعي في السلام كنا عهدناه لقينات النساء... فيا عجبًا لهؤلاء الرجال كيف تحلوا بسمات ربات الحجال..

وهذه اللفتات التي نعثر عليها في مذكرات السائح هي التي تميزه عن الكاتب الجغرافي. فهذا يسأل ويستقصى ويحقق ويحاول أن يشمل كل جزء من المنطقة التي يعرض لدرسها أما الرحالة فينقل ما يشاهد وتكون صورته جزئية ولكنها ذات قيمة من هذه الناحية، فبينما يذكر المقدسي أبو الفدا كل شيء عن إقليم الشام، نجد أن ابن جبير ـ وهو سائح ـ لا يتناول مدن الغور أبدًا لأنه لم يصل إليها وابن بطوطة يذكر فلسطين وخاناتها وأماكن المكس والتفتيش فيها لأنه جاء البلاد برًا من مصر.

وبجانب ذلك كان التجار يضربون في أراض جديدة. عن طريق القوافل، وعن طريق البحر وسفنه، وقد وصلوا في مغامراتهم إلى الصين والهند وشواطىء أفريقيا الشرقية والغربية جنوبي خط الاستواء. واستطاعوا أن ينشروا الإسلام في أندونيسيا وما قصة، السندباد البحري، الخيالية إلا صورة لمغامراتهم في البحار الجنوبية.

لقد كثرت الرحلات عند العرب وتنوعت بتنوع أسبابها وحوافزها السياسية والدينية والاقتصادية ـ كما سبقت الإشارة ـ ونشأت عند كثيرين منهم محبة المجازفة فيما وراء المعروف، وليس من المصادفة أن يكون رائد فاسكودي جاما في اقتحامه بحر الهند من رأس الرجاء الصالح، هو رائد عربي يسمى أحمد بن ماجد وبعد انتصار البرتغاليين على المحيط الأطلسي المسمى بحر الظلمات ودخول العالم عصر الاستكشافات الكبيرة، يصبح للطيارة فصول في الرواية، رواية الكشف عن العالم ومجاهله، ويغدو

كانه كتاب مقروء. . فلا يبقى فيه طلسم ولا لغز، بل تحل كل طلاسمه وألغازه. . وحسبنا الآن ألا نبالغ إذا قلنا أن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي. لسبب بسيط وهو أنها خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها هذا الأدب. ونقصد تهمة قصوره في فن القصة، ومن غير شك من يتهمون هذه التهمة لم يقرأوا ما تقدمه كتب الرحلات العربية من قصص زنوج إفريقية وعرائس بحار الصين وحجاج الهند وآكلة لحوم البشر وسكان نهر الفولجا وتزحلقهم على الجليد وعبدة النار والإنسان البدائي والراقي مما يصور الحقيقة حيناً ويرتفع بنا إلى عالم خيالي حيناً آخر.

والرحلة التي نحن بصددها رحلة الحقيل إلى أوربا فيها خصائص القرن العشرين. من سرعته في اختراق الآفاق ووسائل الاتصال الحديثة التي قضت على حواجز المكان والزمان. وازدحام النزل والمنتديات. فيها معارض الفنون ودور الأوبرا والمسارح والمكتبات والمتاحف التي تعرض حياة الشعب كل الشعب على مر تاريخه في صالات العرض المهيأة لذلك.

وكاتبنا بعد أن حدثنا عن معاناة السائح المعاصر في الحصول على غرفة في أحد فنادق باريس المزدحمة بخلايا البشر انتقل بنا إلى معالمها السياحية الجميلة. وعرفنا بتاريخ كل معلم من تلك المعالم. فمن برج. مونبرناس. بطوابقه التسعة والخمسين إلى ناظوره الذي يطل على باريس من الأعالي.

ولم ينس قط منابع ثقافته ومرتع طفولته. فعاد بنا إلى أبي العلاء المعري الذي يرى في البادية الأصالة وإنما فقد العز في الحضر حين يستشهد ببيته الرائع.

الموقدون بنجد نار بادية لايحضرون وفقد العز في الحضر

ثم يعرج بنا الأديب الحقيل إلى السربون بعراقتها ونشأتها وطرازها المعماري ومكتباتها وما يحيط بها من أريج الحي اللاتيني بمقاهيه المكتظة بخليط الثقافات والفنون واللغات والجنسيات، وكان عقله الباطن يدعو شباب قومه أن ينهل من ينابيع العلم الحديثة حتى تعود حضارة العرب إلى سابق عهدها. . ومن قمة برج إيفل في صحبة الأصدقاء إلى سفوح فرساي وقصرها المنيف في ضيافة تاريخه وملوكه وعبر صالوناته ولوحاته الفنية الرائعة.

لقد جعل الأستاذ عبد الله الحقيل رحلته رحلة معاشة، عشناها معه في مكتبات باريس أيضًا وفي دار أوبراها ومهرجاناتها ومعارضها المقامة على مدار فصولها ولكن يبدو أن وسائل الاتصال في العصر الحديث التي تخطت المسافات وجعلت العالم كله وحدة واحدة. والانفجار المعرفي والتقني الذي جعلنا معشر سكان الأرض نعيش معًا أحداث العصر ومتغيراته ربما تلك العوامل هي التي جعلت محدثنا يصرف النظر عن الحديث عن عادات الشعب الفرنسي وتقاليده. ولم يبين لنا كيف كانت ملاحظاته على الشارع الباريسي. ولم يحدثنا عن نهم القراءة عند أهل باريس والإطلاع حتى في الحافلات ومترو الأنفاق. وعن الهدوء والسكينة التي يتمتع بها الشارع الفرنسي. فلا ضوضاء ولا صخب. كنا نود أن يحدثنا عن الحرية الفكرية والثقافية التي حولت باريس إلى مقر هيئة أمم غير رسمية. وكيف أن الإنسان الفرنسي يعيش فيها بلا خوف أو عقد وأنه يعيش يومه دون خوف من سلطة تدهمه أو حاكم يغرمه.. وعن الشعور العام بالانتماء إلى فرنسا وتشرفهم بهذا الإنتماء وإن كان قد أشار إلى ذلك إشارة عابرة على لسان الشيخ الذي حدثهم عن حضارة فرنسا ـ وكيف أن تربيتهم القـومية جعلتهم يفتخرون ويتمسكون بعراقتهم وتقاليدهم بالرغم من أنهم هم الذين يفاجئون العالم كل يوم بالجديد.

والمستحدث في عالم، الموضة، من ملابس وعطور ومدارس فنية ونقدية وفلسفية حديثة، لم يحدثنا مرشدنا عن الإنسان ـ أيًا كان نوع هذا الإنسان ـ وعن المعاملة الآدمية التي يلقاها بصرف النظر عن كنهته أو منزلته أو ممتلكاته، إنما ما يعنيهم هو الإنسان لمجرد كونه إنسانًا وهذا ما جعلهم ينطلقون بل وأقول جعلهم يطبقون روح الأديان. وأخيراً فتحية للكاتب على رحلته وما تخللها من معلومات وبالله التوفيق

• • •

وبعـد أيها القارىء فلم يبق لي من تلك الرحلات سوى الذكريات مرددًا مع الشاعر العربي قوله:

قد جئت معتذرًا ما في فمي خبر	رجلاي أتعبها الترحال والسفر
ملت يداي تباريح الأسى ووعت	عينـاي قاتلهـا ما خانها بَصـر
إن جئت ياوطني هل فيك متسع	كي نستريح وهمي فوقنا مطر
وهل لصدرك أن يحنو فيمنحني	وسادة حلمًا في قبضه شجر

• في هذا الكتاب •

كتب للمؤلف تحت الطبع :

١ ـ الشذرات في اللغة والأدب والتاريخ والتربية.

٢ ـ علاقة نجد بالشام في الفترة من ١١٥٨هـ ـ ١٢٢٥هـ.

٣ ـ أوراق متناثرة.

٤ ـ زهـــر وثمـــر.

٥ ـ في موكب الحيـــاة.

٦ ـ من أعلام الجزيرة العربية.

٧ ـ المجمعة بين الحاضر والغابر.

٨ ـ آراء وذكريات في التربية والتعليم.

٩ ـ العلاقة بين التراث العربي الإسلامي ونمو المدينة العربية.

١٠ ـ ديـــوان شـــعر.

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون : ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣